الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت–

كلية: العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر

الموسومة بـ :

قبائل الطوارق بالجزائر: التاريخ ، المجتمع والحضارة

من إعداد الطالبتين:

❖ تاج إكرام

❖ بلفراق محجوبة

المشرف :

الدكتور: بكاري عبد القادر

اللجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة
أ.د بن صحراوي كمال	أ . التعليم العالي	رئيسا
أ.د بكاري عبد القادر	أ . محاضر . "أ"	مشرفا
أ.د طاعة سعد	أ . التعليم العالي	مناقشا

السنة الجامعية : 2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أول الشكر لله عز وجل الذي منحنا الصحة والقوة والعزم لإنجاز هذا العمل وإتمامه

واستنادا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " **ومن اتى اليكم معروفا كافأتموه ، فان لم تجدوا ماتكافأونه فادعو له حتى تعلموا ان قد كافئتموه** " (رواه احمد وابو داود، وصححه الالباني). نتقدم بخاص الشكر والتقدير الدكتور" **بكاري عبد القادر**"

الذي كان لنا الشرف في اشرافه علينا في انجاز هذا العمل ولم يبخل علينا بنصائحه القيمة وتوجيهاته العلمية والمنهجية التي ساعدتنا، والذي تابع هذاالبحث منذ ان كان مجرد فكرة الى ان اصبح بحثا ، فكان لنا نعم الموجه.

وكذلك نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل الذين ساهموا بتوفير كل الظروف والوسائل لانجاز هذا البحث ، والشكر لكل اساتذة قسم التاريخ جامعة تيارت.

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وأهدي ثمرة جهدي المتواضع

الى ملكة عرش كياني ، إلى معنى الحب والحنان وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي الى ينبوع الصبر والتفائل والامل أمي الحبيبة " **بلخيط معزوزة** " شفاها الله وبارك الله في عمرها

من ذكره يطمئن قلبي إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من هو رمز للوجود وهو معلمي في هذه الحياة أدعوا الله أن يبارك في عمره أبي العزيز "**طيب**".

الى الأخت " **امينة** " التي آنستني في الدراسة من أولى جامعي إلى يومنا هذا التي تقاسمت معي أعباء إنجاز هذا العمل.

إلى كل من كانوا نعم العون والسند برفقتي ومصاحبتي أثناء دراستي إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات "**كلتومة و رشيدة**

الى زملائي وزميلاتي في الدراسة.

الى كل من علمني حرفا.

تاج اكرام

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله الذي وفقني في انجاز هذا العمل المتواضع وها أنا اختم بحثي بكل همة ونشاط وامتن لكل من كان له الفضل في مسيرتي وساعدني ولو باليسير

الى الوالدين أبي وأمي رحمها الله من أوصى الله بهما خيرا وقال فيهما « وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

واسدي خالص العرفان والتقدير واوفى عبارات التبجيل للدكتور المشرف **بكاري عبد القادر** على توجيهاته الفذة ونصائحه ، بمعاني العلم والمعرفة.

كما اتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل الى كل من ملئ جعبتي بالعلم والمعرفة من معلمين واساتذة ودكاترة والى كل عائلتي المتواضعة.

شكرا والف شكر لكم

بلفراق محجوبة

قائمة المختصرات:

تح : تحقيق	ط : طبعة
تر: ترجمة	ع : عدد
ج: جزء	م : ميلادى
ص: صفحة	هـ : هجري
د.ت : دون تاريخ نشر	ق : قرن
مج : مجلد	Ibid: Au même endroit
P: page	Opt.Ci: Ouvrage précédemment citée
N: Numéro	.RA: Revue Africaine

المقدمة

مقدمة:

لقد بات معروفا أن التركيبة الاجتماعية الجزائرية بتنوعها السوسيوثقافي قد إنصهرت على إمتدادات تاريخية موغلة في القدم، عرفت خلالها إمتزاجا بين الفئات المحلية الأصيلة إلى البلاد في حدود مقبولة من التجاذب، كما عاشت أيضا سلسلة من المواجهات الحاسمة، جسدت رفضها لفئات أخرى، إخترقت الحدود وهي في كل هذا الحراك الاجتماعي التاريخي كانت عنصر تأثير وموضع تأثر بدرجات متفاوتة، حتى إستقر واقعها على هذا النسيج القائم.

أعادت التطورات الأخيرة التي عرفها إقليم أزواد "قضية الطوارق" إلى الواجهة وتصدر المشهد الإعلامي بعد عقود متراكمة ظهرت خلالها القضية والشعب في غياهب التجاهل والنسيان، وعانى خلالها الإقليم من سطوة الغرباء.

الطوارق: كلمة تختزل أبعادا ودلالات حساسة لشعب وأرض "وقضية" ظلت متفاعلة منذ زمن سحيق، الطوارق شعب متميز عريق، عودتهم صحراؤهم الممتدة على الإستقلال والحرية وعدم الخضوع لأي جهة تملي عليهم أو تحد من إرادتهم.

احياء الثقافة الشعبية والاهتمام بكل مكوناتها وعناصرها باعتبارها احد مقومات الهوية القومية، من المسائل الهامة التي تطرح بشدة في الاونة الاخيرة خاصة في زمن التكنولوجيا الحديثة التي طغت ودفعت بالانسان المعاصر الا البحث في العادات والتقاليد وكل ماينطوي تحت لواء القيم الاجتماعية والثقافية التي تشكل جزء من هوية السكان.

الإشكالية: ما يميز القبيلة أنها جماعة لم تفصل فيها الفرد عن الجماعة، كونها فاعلية إستمرار وتأثير على الإرث الإجتماعي والثقافي، المفروض على الفرد بإعتبارها أساس التشكيلات الاجتماعية، والعلاقات المسيطرة فيها هي علاقات القرابة والأهل والدم

والقبيلة والعشيرة، فهؤلاء الأفراد تحدد طموحاتهم ومواقفهم انطلاقا من الوسط الاجتماعي المحيط بهم، وبالرجوع إلى الجماعات التي ينتمون إليها أو التي يشعرون أنهم قريبون منها، يعد الطوارق من القبائل التي تقطن الصحاري المستوطنة في جمهورية ليبيا، الجزائر، مالي والنيجر، الناطقة باللغة البربر، من المجتمعات التي تنتمي إلى مجتمع البدو والرحل الذين ينتسبون إلى قبيلة صنهاجة وينحدرون من سلالة نوح –عليه السلام.–

إن عددا من هؤلاء البدو عندما قرروا الاستقرار في الوسط الحضري بالجنوب الشرقي للجزائر لم يأتوا قواقع فارغة، بل حملوا معهم عاداتهم تقاليدهم وممارستهم الثقافية وعلاقاتهم اجتماعية الداخلية وعلاقاتهم الخارجية.

انطلاقا من هذه الإشكالية نطرح التساؤل المحور الآتي: ما هي أهم القيم السوسيوثقافية التي تميز المجتمع الترقي؟

التساؤلات الفرعية:

- ما هو التأصيل التاريخي للمجتمع الترقي؟
- ما هي أوضاعهم اجتماعية والاقتصادية؟
- ما هي طبيعة النشاطات الثقافية والحضارية التي يقوم بها الرجل الترقي ؟

الفرضيات: ساهم الانتقال من الوسط الريفي إلى الوسط الحضري في تشكيل القطيعة عن الماضي.

- الحاجة الماسة إلى المواد الأولية والماء والتي أدت بهم إلى الاستقرار.

أهداف الدراسة:

- إحياء المخزون الثقافي الترقي.
- التعرف على المجتمع الطارقي أصلا ونسبا

أهمية الموضوع: نظرا للأهمية البالغة التي يكتسيها التراث التاريخي والثقافي للمجتمع الطارقي إرتأينا لإبراز ملامحه الخاصة والعامة التي تؤكد على هوية الجماعة والمجتمع، وإظهار لمن هو غافل عن عراقة و أقدمية حضارة المجتمع الطارقي وعراقة صحراءنا الجزائرية الشاسعة.

دوافع الدراسة: دوافع كثيرة أدت بنا إلى إختيار هذا الموضوع نحصرها:

الدوافع الموضوعية: إن الهدف الرئيسي لأي بحث علمي هو محاولة إكتشاف ما قد نتجاهله من واقعنا الإجتماعي، وخاصة التنوع الثقافي الذي يعتبر جزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية الجزائرية.

- محاولة إحياء التراث الترقي الجزائري الذي يعتبر مصدرا ثقافيا وسياحيا.

الدوافع الشخصية: ميولنا الشخصي لمثل هذه المواضيع والدراسات.

حبنا للإطلاع على عادات وتقاليد المجتمع الترقي بإعتباره رمزا من رموز الأمة الجزائرية.

الدراسات السابقة: إن الدراسات السابقة هو خطوة ضرورية يقوم بها الباحث قبل الشروع في أي بحث لأن معرفة الباحث ما توصل إليه الآخرون يمكنه من تحديد الزاوية التي سينطلق منها في تساؤله للموضوع وكذا الإستفادة منها.

الدراسة الأولى: تتمثل في دراسة سوسيوأنثروبولوجية : القرابة عند الطوارق، رسالة لنيل شهادة ماجيستر من قسم الثقافة الشعبية، تحت اشراف مجاود محمد ، جامعة ابي بكربلقايد، جامعة تلمسان الجزائر 2006-2007 قامت بها شهاب سامية.

الدراسة الثانية: صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن 19 من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيوثقافية، رسالة لنيل درجة ماجيستر في الادب المقارن ، شعبة ادب الرحلة، جامعة منتوري قسنطينة ، كلية الاداب واللغات ، قسم اللغة العربية وادابها 2007 2008 ، قام بها الطالب احمد دواس تحت اشراف الاستاذ الدكتور الاخضر عيكوس. كانت الاشكالية كالتالي: ماهي هذه المظاهر والى اي مدى

ساهمت في تشكيلصورة المجتمع وبنيته الحالية وهل بعض الظواهرالمتفشية الان في المجتمع لها جذورها عبر تاريخ هذا المجتمع ومراحل سيرورته الىماهو عليه الان ؟

التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال العرض السابق للدراسات التي أجريت يمكن إستخلاص الآتي:

توصلت نتائج كافة الدراسات إلى أهمية هذا المجتمع الذي ينفرد بخصوصيات إجتماعية وإرث ثقافي وطبيعي يحمل ذاكرة تاريخ الأمة.

وجل هذه الدراسات ركزت على الجانب الإنساني والإجتماعي بصفة عامة عن الطوارق، وأهملت بعض الشيء الكتابات الأجنبية والعربية عن المجتمع الترقي، إضافة إلى الفنون التي يمارسها هذا المجتمع، فقمنا بدورنا إلى التطرق إلى هذا العنصر المهم كون قبيلة الطوارق تتميز بخصوصية ثقافية عن غيرها من المناطق الجنوبية الجزائرية:.

منهج الدراسة: يعرف المنهج على أنه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة مجموعة من القواعد العامة للوصول إلى نتائج دقيقة تمكننا من إيجاد حلول للمشكلة المدروسة.

أما بالنسبة للمنهج الذي إعتمدناه هو كون طبيعة الموضوع الذي تناولناه يتحدث عن أهم السيمات الثقافية والإجتماعية لمجتمع الطوارق، هي التي فرضت علينا إتباع المنهج التالي: المنهج التاريخي: من خلال تتبع الطوارق عبر المراحل التاريخية والحضارية التي مر بها، وهذا ما يعرف بالمنهج المتكامل الذي يوضف أكثر من منهج واحد. وله اليات يستخدمها :

المنهج الوصفي: وقد تم إختيارنا لهذا المنهج لكونه الأنسب لطبيعة الموضوع، الذي يبحث على أهم السمات الثقافية والحضارية للمجتمع الطوارق، يصف لنا أصل وإنتساب المجتمع الترقي من خلال إيضاح واقع حياتهم المستقر بجنوب الصحراء الجزائرية.

كما فرضت علينا دراستنا إتباع المنهج التاريخي: من خلال تتبع الطوارق عبر المراحل التاريخية والحضارية التي مر بها، وهذا ما يعرف بالمنهج المتكامل الذي يوضف أكثر من منهج واحد.

وعليه قسمنا الموضوع إلى جانب منهجي وثلاث فصول، ففي الجانب المنهجي تناولنا الإشكالية التي كانت المنطلق للدراسة مع المنهج المتبع والعينات وأهداف الدراسة.

تطرقنا في أول الأمر إلى مدخل تمهيدي تناولنا فيه جانب الصحراء الجزائرية عبر العصور وأهم القبائل الكبرى فيها.

أما الفصل الأول: جاء بعنوان قبائل الطوارق عبر التاريخ وقسمناه كذلك إلى ثلاثة مباحث في الأول تعرضنا إلى أصل الطوارق وإنتسابهم حيث لا يمكن التحدث عن الطوارق دون معرفة أصلهم، وفي المبحث الثاني تناولت فيه مجالاتهم الجغرافية ومواطن تمركزهم، والمبحث الثالث كان مخصصا لنظامهم الإجتماعي والسياسي.

أما الفصل الثاني جاء بعنوان الأوضاع الاجتماعية والإقتصادية لقبائل الطوارق وقسمناه هو الثاني إلى ثلاثة مباحث، الأول تعرضنا فيه إلى معرفة طبقات مجتمع الطوارق أما المبحث الثاني بعنوان الحياة الإقتصادية عند قبائل الطوارق والمبحث الأخير تطرقنا فيه إلى المرأة ومكانتها في المجتمع الترقي.

أما الفصل الثالث: خصصناه لدراسة الأوضاع الثقافية والحضارية للمجتمع الترقي وقسمناه كذلك إلى ثلاثة مباحث، الأول تناولنا فيه اللغة والفنون عند الطوارق الرقص الموسيقى... أما المبحث الثاني فعادات وتقاليد المجتمع الترقي والمبحث الأخير كان بعنوان قبائل الطوارق من خلال كتابات العربية والأجنبية (أخذ نماذج).

الصعوبات التي واجهتنا:

– صعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع.

– كثرة الكتابات حول العادات والتقاليد والحياة الاقتصادية الا ان المادة كانت قليلة جدا فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية

– قلة الإمكانيات المادية

– عدم فهم اللغة الأمازيغية الترقية مما إضطرنا إلى اللجوء إلى الإستعانة ببعض الأشخاص كوساطة لتسهيل عملية جمع المعلومات وفهمها.

وفي الختام نتمنى أن نكون وفقنا الى حد ما في ايفاء الموضوع حقه ونرجو من الله تعالى ان يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم

الفصل التمهيدي :

الصحراء الجزائرية عبر العصور وأهم القبائل الكبرى فيها.

أولا لابد من تحديد مفهوم الصحراء الجزائرية حيث إنها تمثل 90 بالمائة من مساحة الدولة الجزائرية ويسكنها 10 بالمئة من سكان الجزائر ومن الناحية الجغرافية الصحراء الجزائرية في الشرق الجزائري تبدأ من ولاية بسكرة وجنوب ولايتي تبسة وخنشلة وفي الوسط الجزائري جنوب بوسعادة وجنوب مسعد وجنوب ولاية الأغواط وفي الغرب الجزائري جنوب ولاية البيض وولايات بشار وثم في الأعماق الصحراء ولاية ورقلة وغرداية وأدرار واليزي وتمزاست وتندوف.[1]

عرف كل من زبيدي في تاج العروس وابن منظور في لسان العرب الصحراء من الأرض بأنها المستوية في لين وغلظ دون القف وقيل أنها الفضاء الواسع. وقال ابن شميل « الصحراء من الأرض، مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا أكام، ولاجبال ملساء » وجمع الصحراء، فيما قال ابن سيده سحراوات وصحار، وفيما قال الجوهري، صحاري وصحراوات وقد نقل عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه وأرضاه قوله : فأصحر لعدوك وامض على بصيرتك" والصحراء مؤنث الصفة ويقال يقال أصحر أي الذي يضرب لونه من الحمرة إلى الغبرة.

وسطح الصحراء، على عكس مايتوهم البعض أبعد ما يكون عن التجانس، حيث أننا نشاهد فيها مستويات كبيرة الاختلاف في الارتفاع والانخفاض، فالمناطق الشرقية يسودها الانخفاض بينما تسود المرتفعات في المناطق الغربية.[2]

تمتد الصحراء الجزائرية على مساحة كبيرة من الصحراء الإفريقية الكبرى ما بين المحيط الأطلسي في الغرب إلى البحر الأحمر شرقا ومن شمال الشرقي البحر

[1] فارس بني رحمان، قبائل وأعراش الصحراء الجزائرية الكبرى، منتديات الشروق، منتدى التاريخ، 2023/02/06، Pm 8:52

[2] العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب شارع زيغود يوسف " الجزائر"، ص 17..

المتوسط[1]، حيث تغطي الصحراء مساحة تبلغ نسبتها 90 % تقريبا من المساحة الكلية للجزائر والتي تقدر بـ 2381741 كلم[2] والصحراء في تركيبها الجغرافي أبسط من المنطقة التلية، إذ لا نجد فيها الجبال المتقطعة ولا المرتفعات المعقدة، ولا السهول الضيقة المحصورة، ولا العروق الرملية المتنقلة، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الصحراء إلى أربع مناطق متباينة هي:

1- **منخفض الركن الشمالي الشرقي:** تظهر به بعض الشطوط مثل شط ملغيغ، الذي يقع دون مستوى سطح البحر بحوالي 37 مترا.

2- **منطقة هضبية صخرية:** تقع على الأطراف الشمالية في الوسط، كهضبة تادميت إلى شمال من عين صالح.

3- **سهول تغطيها الرمال:** وهي التي تحتل أكبر مساحة في الصحراء

كتل جبلية : تقع في الركن الجنوبي الشرقي وهي جبال الهقار التي تبلغ أعلى قمة جبلية بها وهي قمة تاهات بمرتفعات اتاكور إلى الشمال عن مدينة تمنراست ونجد بالصحراء ثلاثة مظاهر تضاريسية متباينة هي الحمادة، الرق، والعرق.

يسود الفضاء الصحراوي، مناخ قاري جاف حيث تصل درجة الحرارة إلى 50 درجة صيفا، لتنخفض في الشتاء إلى درجة الصفر، وندرة الأمطار وعدم انتظامها حيث لا يزيد متوسطها السنوي عن 200 ملم وتقل إلى ما دون 50 ملم في باقي المناطق.[2]

هنا تظهر بعض الأودية إلا مع تساقط الأمطار، أهمها وادي ريغ والميزاب متليلي، تنحدر عبر الجبال الهقار، وتسمى بالأودية المهاجرة، تنحدر من الشمال إلى الجنوب

[1] شارف بثينة ، مشروع البحر الداخلي بين الجزائر وتونس خلال الفترة الاستعمارية 1847 م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ ص .. 08

[2] شارف بثينة ، المرجع السابق ، ص .. 15

لها حركة التوائية، إضافة إلى الهضاب المرتفعة، نجد منخفضات من الأرض منتشرة في عدة مناطق، تتشكل فيها بحيرات طبيعية أو ما يصطلح عليها بالشط، فهذه البحيرات تلتقي في أودية داخلية من الشرق إلى الغرب.[1]

يقتصر الغطاء النباتي في الصحراء على التشكيلات المتآلفة مع الجفاف وارتفاع الحرارة التي تحتل مجاري الأودية والمناطق التي توجد بها مياه باطنية قريبة من سطح الأرض، خاصة في الواحات وهناك مناطق خالية من النبات تسمى محليا تنزروفت كما أن الأنواع النباتية في هذا الإقليم محدودة، معظمها مجرد من الأوراق، فروعها قصيرة وتكثر بها الأشواك للتغلب على الجفاف والتبخر، وجذورها طويلة بحثا عن المياه الباطنية وأهم هذه التشكيلات، النخيل في الواحات ودارين والعنب.[2]

لقد لعبت الصحراء الإفريقية الكبرى في تاريخ أفريقيا ما لم يلعبه المحيط الأطلسي من الأدوار الحضارية الهامة، فقد كانت مسارب الصحراء إلى غربي إفريقيا خلال العصر الوسيط. بمثابة مسالك تعبر من خلالها حضارة البحر الأبيض المتوسط وحضارة الإسلامية بعد ذلك إلى أفريقيا جنوب الصحراء عموما وإفريقيا الغربية بصورة أخص، ومنه نقول إن الصحراء الجزائرية كان لها دور كبير هي الأخرى في الاقتصاد.[3]

الصحراء الجزائرية لدى الرحالة:

الجزائر الواحدة من ثلاثة بلدان في حوض الأبيض المتوسط التي تشترك في هذا البحر الهائل من الرمال المعروف بالصحراء الكبرى، ومع أن الوصول إليها لم يعد

[1] المرجع السابق ، ص .. 45

[2] دواس أحسن: صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين ، الاخضر عيكوس ، مذكرة ماجيستر ، الادب المقارن ، قسم اللغة العربية وادابها ، كلية الاداب واللغات ، جامعة منتوري قسنطينة 2007-2008 ص 35

[3] د شترة خير الدين، المبادلات التجارية بين إقليم التوات وحواضر المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة أدرار. ص ..11

صعبا فما يزال للصحراء الكبرى سحرها وغموضها الخاص، ووجود المطارات والطرق البرية الجيدة والفنادق المريحة يتيح المجال لرؤية جمال طبيعتها، على الأقل في قسمها الشمالي.

وقد وصف الرحالة الفرنسيون الصحراء الجزائرية أوصافا مختلفة فهذا ريني بوتي (Rénépotier) يقول أن الصحراء كما يطلق عليها إداريا بالإقليم الجنوبي لفظ يطلق على منطقة شاسعة جدا وهي جغرافية المنطقة المتصحرة التي تحزم الكرة الأرضية، ولها حدودها الطبيعية من الأطلنطي في الغرب، دعامة الأطلس والبحر الأبيض المتوسط في شمال، البحر الأحمر في الشرق[1]

والكتاب الجغرافيون العرب، وفي مقدمتهم أبو عبيد البكري والشريف الإدريسي وابن سعيد المغربي وابن خلدون والمقريزي والحسن بن محمد الوزان وابن بطوطة، كلهم تحدثوا عن الصحراء وتركوا لنا وصفا شيقا لمختلف أطراف الصحراء، ولا سيما للمناطق الواقعة على حافاتها الجنوبية والشمالية التي كانت تجوبها قوافل التجار والتي زرع دعاة الدين الإسلامي فيها بذور حضارة نمت وترعرعت في مراكز للعمران لا يقلل من عظمتها كونها قد أندرست الآن وطمستها الرمال، مثل أودغست وسلجماسة و تمبكتو ، فقد كانت هذه المدن مقصد للقوافل من مختلف أطراف المشرق والمغرب تنقل إليها منتجات الشمال ومنتجات الأندلس التي تعبر بالمغرب وتحمل منها العبيد والتبر والعاج وغير ذلك[2]

تتميز الجزائر وصحراؤها بغناها اللامحدود من الموارد والمظاهر الطبيعية، إذ اننا نلحظ تنوع الثروات الباطنية فيها ما بين الغاز والنفط والبترول ويعتقد العلماء أن الصحراء الجزائرية خضعت لعملية تحويل شاملة، فقد كانت سابقا تماثل الجنة جمالا

[1] أحسن دواس ، المرجع السابق ، ص .. 40

[2] اسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص .. 25

وتنوعا، لكن التحول المناخي قد أطلق لعنته لتصيب غابة الجزائر محولة أياها من منطقة رطبة إلى منطقة جافة[1]

صحراء الجزائر ثروة يمكن استغلالها:

إن لتلون البلاد الجزائرية بلون الذهب الصحراوي قيمة لا تقل عن قيمة الذهب الحقيقي، لا سيما من قبل علماء الطاقة البديلة، والوكالات المناخية، لتعلن الوكالة الألمانية المنطقة الصحراوية وعاء من الحرارة المشعة، الحاوية لأعلى نسبة من الطاقة الشمسية وإشعاعها حول العالم، وان ذلك جعل من الصحراء ثروة لا تقدر بثمن، فبفضلها تستطيع منح النور والضياء لجميع سكان العالم عبر توليد الطاقة الكهربائية باستخدام الطاقة الشمسية.[2]

خلال القرن التاسع عشر ميلادي اهتم الأوروبيون بشكل متزايد بأفريقيا وذلك في إطار التنافس حول مناطق النفوذ، ورغبة في الاستحواذ على التجارة الأفريقية، كما شهد هذا القرن عدة رحلات وبعثات سميت بالرحلات والبعثات العلمية، في معظمها فردية وبعضها جماعية، قام بها مستكشفون من جنسيات أوروبية مختلفة بالتعاون مع جمعيات جغرافية.[3]

تعددت الرحلات الاستكشافية والدراسات الجيوغرافية للمناطق الصحراوية والتعرف على طبيعتها وأهم طرق القوافل والاستفادة لفتح طريق التجارة الفرنسية وتنفيذ المشاريع الفرنسية، في الوقت الذي ظهر فيه العديد من المشاريع الإقتصادية للشق قنوات مائية

[1] إسراء أنجيلة، تعبير عن صحراء الجزائر وجمالها الخلاب، 23 نوفمبر 2021 : ، اللغة العربية في الجامعات ، تدقيق أحمد بن عمر تحديث 20:39 ص .. 3

[2] إسراء أنجيلة ، المرجع السابق، ص..6

[3] رفاف شهرزاد : الاستكشافات الاوربية للصحراء الجزائرية من القرن تاسع عشر جامعة بشار، تاريخ الارسال 10-02-2019 تاريخ القبول 03-03-2019 تاريخ النشر 30-04-2019 مجلد الاول عدد خاص افريل 2019 ص ..5

للملاحة العالمية، فكرت فرنسا في تنفيذ مشروع البحر الداخلي بين الجزائر وتونس سنة 1847 لتدعيم نفوذها في المنطقة وبسط السيطرة عليها.[1]

شجعت الرحلات الاستكشافية الإنجليزية والألمانية للصحراء الجزائرية الفرنسيين لخوض غمار الاستكشاف فبدأ مغامرتهم في الصحراء الإفريقية برحلة رونيه كايي هو أول المغامرين الفرنسيين إلى أواسط الصحراء ليجتازهم من السنغال إلى تمبكتوا وعاد عبر تافيلالت إلى فاس والرباط ما بين عام 1824 – 1828 محاولا الوصول للصحراء ليصل فقط إلى تمبكتوا والعودة إلى طنجة.[2]

كما قام الضابط لابي بوضع خريطة عامة للجزائر، أبرز فيها تضاريس المنطقة الجنوبية وهي الخريطة التي كانت أساس التوسع الفرنسي في الصحراء.

قامت الحكومة الفرنسية بمخططات للتوغل في أقاسيها وربط شمال افريقيا بغربها وبالسودان لمعرفة أهم المسالك والواحات والآبار واللهجات للسكان المنطقة.

هذه الرحلة قام بها موتيلا ناسكي كان يربط الإتصالات والعلاقات مع رجال الدين والعلم في المناطق الشرقية الصحراوية وقدم تقرير للحكومة عن هذه المناطق.[3]

سكان الصحراء:

يسكن الصحراء الجزائرية مجموعتان عرقيتان، هما العرب والبربر، المجموعة الأولى هي مجموعة متجانسة أما الثانية فتنقسم بدورها على عدة عناصر يقول كلا ماجرو جنسان يعمران الصحراء البربر والعرب ينقسم البربر إلى مجموعتين بارزتين الأولى: وهي تلك التي رضخت للسيطرة العربية وتعيش على زراعة الواحات أحيانا لحسابها

[1] بثينة شارف ، المرجع السابق، ص ..12

[2] رفاف شهرزاد ، المرجع السابق ، ص ..8

[3] شارف بثينة، المرجع السابق ص.. 15

الخاص، وفي غالبها لحساب أصحابها، والمجموعة الثانية والمتميزة بأنها أكثر جرأة وإقدام، وأكثر حب للحرب والقتال، فقد تمركزت لمناطق لا يستطيع العرب الوصول اليها، هذه المجموعة هي "الطوارق".[1]

تحفل المناطق الصحراوية التي استوطنها أهل الطوارق قديما، والذين ينتمون إلى مجتمع البدو والرحل يجولون الصحراء للبحث عن الماء والكلئ، بالعديد من العادات والتقاليد التي دخلت ضمن منظومة القيم الاجتماعية فهي تشكل جزء من هوية سكان هذه المناطق، التي كانت معبرا للعديد من الثقافات والحضارات الممتدة من ليبيا، الجزائر، مالي، نيجيريا، وبوركينا فاسو... وهو ما جعلها تشكل مزيجا من الأجناس والأعراق البشرية واللهجات المختلفة.[2]

القبيلة الثانية وهي قبيلة الشعانبة وهي من أشهر وأكبر قبائل الصحراء الجزائرية هو أكثرها قوة وعددا، تحت قبائلهم مساحة شاسعة من الصحراء الجزائرية.

يتواجدون أساس في كل من ولاية غرداية (في عاصمة الولاية وبمدينة متليلي) وفي ولايتي ورقلة والوادي وتمنراست وفي مناطق متفرقة كثيرة من الجزائر كما لهم تواجد قديم داخل الأراضي التونسية.

الشعانبة هي من يعقوب بن عبد الله الذي كان رئيس لفروع حكيم من حصن من علاق قبل القرن التاسع الهجري، وقد كان من حلفاء وأولاد أبي الليل من الكعوب من يحيى من علاق في تونس قبل نزوح معظم علاق منها.

[1] أحسن دواس ، المرجع السابق ، ص .. 45

[2] بوسكين خديجة، جانت ... (أرض " أموهاغ" مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر، تخصص سمعي بصري وفضاء عمومي ،كلية العلوم الاجتماعية ، قسم علوم الاعلام والاتصال ، جامعة ابن حميد بن باديس مستغانم ، 2018/2017 ص ..26

قال المدني: إن في القسم الجنوبي من أرض الواحات الصحراوية ومركزها مدينة ورقلة تشمل هذه المنطقة مناطق رملية شاسعة تدعى الواحدة منها العرق وهي موطن الأعراب البادية "الشعانبة" الذين يعتنون بتربية الإبل.[1]

من أشهر عروش الشعانبة في الصحراء الجزائر، أولاد عامر، أبو الهول، أولاد بلقاسم "القواسم"، أبو معنونة، وأولاد عبد الله وغيرهم.[2]

كما شاركت هذه القبيلة في عدة مقاومات وكان لها الأثر البارز فيها كمقاومة الشيخ بوعمامة ضد الاستعمار الفرنسي.

[1] قويدر أولاد مسعود قومار، قبائل الشعانبة أسود الصحراء الجزائر. الموقع الاكتروني http://www.youtube.com/watch?v=o5TTYI9DmY ص ..05

[2] فارس بني رحمان، قبائل واعراش الصحراء الجزائرية الكبرى، منتديات الشروق ، س 01:01

الفصل الأول:

قبائل الطوارق عبر التاريخ

الفصل الأول : قبائل الطوارق عبر التاريخ

المبحث الأول : الاطار الجغرافي لقبائل الطوارق في الصحراء الجزائرية

المبحث الثاني: الأصل والنسب لقبائل الطوارق

المبحث الثالث: النظام السياسي والاجتماعي في المجتمع الترقي.

أولا : الإطار الجغرافي لقبائل الطوارق:

شعب بلا حدود، فلا وطن محدد يلم تمزقهم ولا هوية موحدة تجمع فرقتهم والأدهى أن ذلك يقع على أرض ثمانية بلدان عربية وافريقية وهي: الجزائر، ليبيا، موريتانيا، مالي، نيجر، نيجيريا و بوركينافاسو.

وبحكم تأثرهم بالمناخ والظروف الصحراء والجفاف فهم رحالة وانهم يتجهون حيث يمكن لهم الاستقرار مع مواشيهم وتجنب ظروف القحط ويعدون نحو مليوني نسمة.[1]

إن الحدود التي رسمت على يد المستعمرين (الفرنسيين والإنجليز) في نهاية القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين قد أسقطت على الطوارق تشرذما بعد أن الصحراء الإفريقية كلها وطن للطوارق في حلهم وترحالهم.

إن ظاهرة الاستعمار الغربي في أفريقيا وسيطرته أنمت زمن حرية التنقل عبر الصحراء، وبدأ عهد تقييدهم بل وحصرهم في مناطق جغرافية محددة، يسكنون الصحراء الغربية والأقسام الشمالية من غربي السودان وتقع منطقتهم بين 14^0 و 13^0 درجة من خطوط العرض وبين 05^0 درجات من خطوط الطول غربا 10^0 درجات شرقا.[2]

في مرتفعات "الأهقار" وجبال "التاسيلي" تعيش قبائل "اليوهاغ" أو "الطوارق" كما تواترت تسميتها.

"الطوارق" مجتمع بدو و رحل يشتغلون بالرعي ويتنقلون باستمرار بحثا عن الكلأ والماء، وهم مولعون بحياة التجوال هذه، يقتاتون مما يجمعون من حبوب الأرض

[1] بوسكين خديجة، المرجع السابق ، ص ..27

[2] شهاب سامية، دراسة سوسيو انثروبولوجية، : القرابة عند الطوارق، رسالة لنيل شهادة الماجيستر من قسم الثقافة الشعبية، تحت اشراف مجاود محمد، جامعة ابي بكر بلقايد. جامعة تلمسان – الجزائر السنة 2006-2007 ، ص 09 ..

وأعشابها ومما تجود به قطعانهم من ألبان ولحوم وغيرها، ولذلك فهم يعيشون في الطبيعة جماعات صغيرة تشكل عادة عائلة واحدة، غير أن توالي فصول الجفاف التي هددتهم حتى في نفوسهم بعدما أتت على قطعان مواشيهم عجلت وتيرة استقرارهم وأرغمت الكثير منهم على الاستقرار في السفوح والمنخفضات والوديان في ظروف صعبة.[1]

لا شك في أن الطوارق من القبائل البربرية التي استوطنت منذ القدم الجزائر، ويكفيهم فخرا كسكان أصليين، أنهم أنشأوا أول حضارة عبر التاريخ القديم، على ضفاف بحير الصحراء الكبرى، ولا تزال الدراسات الأنثروبولوجية والاركيولوجية تكشف الروائع التي تشهد على أن أثار تلك الحضارة العريقة ضاربة في القدم، ومن الدلائل التي تؤكد على أن الصحراء كانت في عصور ما قبل التاريخ مختلف اختلاف جذريا على ما عليه الآن وجود مخلفات كبرى من رواسب الطمي المتراكمة في الصحراء.[2]

اذا فمواطن الطوارق تمتد على مساحة شاسعة في وسط صحراء قارة أفريقيا أو ما يعرف بالصحراء الكبرى، فمن الحدود الشمالية الغربية لجمهورية مالي وموريتانيا، وحدود السودان، حتى جنوب شرق الجزائر، مرورا بشمال النيجر، وتشاد وجنوب غرب ليبيا.[3]

وبالقطع فإن المجتمع الطارقي يحتل موقعا متميزا هنا فقد كان ولا يزال مجالا يجلب اهتمام الباحثين وعلماء الأنثروبولوجيا، فقد اهتم به، الرحالة العرب على غرار ابن حوقل والبكري وابن بطوطة، والإدريسي والحسن الوزاني، كما كان محل دراسات في العصر الحديث من قبل عدد كبير من الرحالة وعلماء الإجتماع والعسكريين

[1] د–معمري أحلام، الطوارق مجلة فنون الجسرة – العدد 01 ربيع 2021 ص ..06

[2] دواس أحسن، مرجع السابق– ص 48

[3] ليلى عاجيب. 11,55 heure ,06/02/2023 :date، من هم الطوارق ,http://mawdou3.com

والمغامرين والمبشرين لا سيما، الأوروبيون منهم على غرار شارل دي فوكو صاحب أول قاموس فرنسي طوارقي ودوماس، وهنري لوت، وبول باندولفي، حيث صدرت لهم كتابات تعالج خصوصيات هذه القبائل بداية من منتصف القرن التاسع عشر.[1]

توجد قبائل الطوارق في عدد من الدول العربية وخاصة الجزائر فهي موزعة على مناطق شاسعة بين صحراء الجزائر، كما يتفاوت تواجدهم الديمغرافي بحسب توزعهم في تلك المناطق، بنسبة 15 %.[2]

لم يكن يؤمن الطوارق بالحدود حتى لقب "بالشعب الحر" ويتوزع الطوارق في الصحراء الكبرى ودول الساحل فهي بذلك كيانات جغرافية وبشرية متنقلة، حيث جرى تقطيعها وفق أسس ومعايير قبلية إلى جانب مراعاة العامل الجغرافي والطبيعي وكثيرا ما تغلب على بعضها عناصر قبلية بعينها من مكونات العرقية المنتشرة بالإقليم من الطوارق وغيرهم[3] وتنقسم إلى:

1- **سلطنة (واللميدن كل أطرام):** وكلمة "واللميدان": الطارقية تعني (أهل الغرب) تحتل هذه السلطنة منطقة ازواد الغربي ومنحنى نهر النيجر، ومن أهم قبائلها: كل إهار كل إترام، كل انتصر، إداو إسحاق.

2- **سلطنة (كل إقرس):** وتحتل المنطقة المعروفة ب (آضر)الواقعة جنوب أزواد الأوسط، وهي منطقة جبلية تشعبت منها مجموعة من الوديان الصغيرة، ومركز هذه السلطنة في (إرزاروري) شمال مدينة (ماداوا)ومن أهم قبائلها: كل إقلال، وكل إمنير، وإيتيسمان

---

[1] خليفي عبد القادر، مجتمع طوارق الجزائر : الخصوصيات الانثروبولوجية والسوسيوثقافية، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة العدد 13 – ديسمبر 2017 ، ص..243

[2] المغربي دينا، قبائل الطوارق، موسوعة المحيط 2023. ص..07

[3] بوسكين خديجة، المرجع السابق ص..29

سلطنة تمزقدا: وتحتل منطقة أزواد الشرقي التي تسمى "دمرقو" ومركزها مدينة تاركا النيجيرية وكانت هذه السلطنة من أقوى السلطنات الطارقية، إذ أنها تقع ضمن منطقة أراضي خصبة تنزل بها الأمطار، كما أنها تتحكم في طرق القوافل القادمة من وإلى ليبيا وبلاد الهوس.[1]

سلطنة تقريقريت والليمدن أهل الشرق: تقريقريت بالطارقية تعني الوسطى، وتتوسط هذه السلطنة بلاد الطوارق، ومركزها مدينة الطاوة شمال جمهورية النيجر، وتنتشر بها عشرات القبائل ومن قبائلها: كل نان (قبيلة السلطان) وكل أغلال وآيت أواري وازاويتن...

سلطنة آيير أو (آير): وسميت بهذا الاسم نسبة إلى جبال آيير التي تقع فيها السلطنة، والمكونة من سكان مدينة "أقذر" من قبائلها: أبار كورييان، اتزيان، كل زيريس، كل إغاروس...

سلطنة أزقر: وتقع في سهول ووديان وواحات جبال التاسيلي، وتعتبر مدينة غات في جنوب الغربي الليبي مركزا لها، ومن أهم قبائلها منغاستن، وإمنان...

سلطنة الهقار: تقع هذه السلطانات غرب سلطنة أزقر في مناطق جبال الهقار على الحدود الجزائرية مع دولتي مالي والنيجر، ومركز هذه السلطنة هو مدينة "تمنراست" في الجنوب الشرقي الجزائر ومن أهم قبائلها: كل أغلاه كل أعزب كل تيطوق

سلطنة أجير: يسكنون الجبال المسماة "التاسيلي" في القسم الشرقي من الصحراء الجزائرية والأقسام المجاورة من ليبيا وتصل شمالا إلى طرابلس والصحراء الرملية الكبرى حول غامس...

[1] أكناته ولد النقرة، الطوارق من الهوية الى القضية، المركز الموتارني للدراسات البحوث الاستراتجية ، س 2014 ، م ، بريس ، الرباط، ص..74

سلطنة أضغاع: ومن أهم قبائلها شمناس، أفوغاس....

ثانيا : الأصل ودلالات التسمية:

يعد البحث في الأصول الاثنية للجماعات البشرية من القضايا الشائكة، والمحفوفة بالمخاطر، حيث تتداخل في تحديدها جملة من العوامل، تتغلب فيها النزعة العصبية أحيانا، ويعترضها الحاجز الإيديولوجي تارة أخرى وليس هناك من سبيل علمي دقيق لضبط هذه الأصول حيث تظل مجرد فرضيات قابلة للمراجعة والتعديل وهذا ما ينسحب على أصل قبائل الطوارق.[1]

اختلف المؤرخون قديما وحديثا عن أصل قبائل الطوارق، من حيث تحديد نسبهم، هل هم من البربر؟ أم من العرب؟ أم من العجم؟ هل هم من السكان المحليين القدامى في المنطقة؟ أم هم لاجئون، مهاجرون من بلاد أخرى؟ وربما الشيء الذي أدى إلى تباين المؤرخين فيهم، هو تميز مجتمع الطوارق في حد ذاته، بخصائص ومميزات عن غيره من المجتمعات المعروفة الأخرى، فهم ليسوا سودا، حتى ينسبوا إلى أهل السودان ولغتهم ليست عربية حتى ينسبوا إلى العرب، وسكناهم الصحاري والقفار، الشيء الذي يشكك في نسبهم إلى البربر، الذين يقطنون شمال إفريقيا المختلفة من حيث المناخ، والتضاريس عن الصحراء، لذا يبدو الأمر معقدا نوعا ما لتحديد أصل هذه القبائل.[2]

وقد اعتبر ابن خلدون أن أصولهم عربية، نزحوا من جنوبي الجزيرة العربية منذ عهود قديمة قبل الفتح الإسلامي، وأكد ابن خلدون أن قبائل صنهاجة البربرية هم أجداد

[1] خليفي عبد القادر، مجتمع طوارق الجزائر: الخصوصيات الأنثروبولوجية والسوسيو ثقافية مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد بوضياف – مسيلة – الجزائر، ص..244

[2] ابراهيم بتقه ، لمحات من تاريخ قبائل الطوارق، كلية العلوم الانسانيةوالاجتماعية، جامعة خميس مليانة، ص 119..

الطوارق، وقد كانت تعيش أول أمر في أقصى جنوبي المغرب العربي، ثم انتشر أفرادها في الصحراء الكبرى.[1]

فهم من الأمازيغ وفي حياتهم الكثير من السمات حياة البدو العرب من تنقل وترحال موسمي، إلا أنهم يفضلون الإنعزال في الصحراء الكبرى بالرغم من المصاهرات التي بينهم وبين العرب في الشمال الإفريقي وبين الأفارقة الزنوج في جنوب القارة، وبذلك أصبحت أعراقهم اليوم تجمع العرب والأفارقة في قبيلة الطوارق ولذلك تأثير على ألوان بشرتهم ولغاتهم المحكية، ويظل الطوارق يفضلون أن يطلق عليهم كلمة "ايماجغن" وتعني أمازيغ ومرادفها أيضا كلمة "تماشق" التي تعني ذات المعنى أي الرجال الأحرار.[2]

وذكر في موضع آخر إحدى فرقهم، وقد سماها صنهاجة "الملثمون" هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون المواطنون بالفقر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات هنالك منذ دوهور قبل الفتح، لا يعرف أولها. فاصحروا عن الأرياف[3]، ووجدوا بها المراد، وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا عنها بألبان الأنعام ولحومها، انتباذا عن العمران، واستئناسا بالانفراد، وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر، وصاروا ما بين بلاد البربر والسودان، واتخذوا اللثام خوطاما تميزوا بشعاره بين الأمم".[4]

اجمل الباحث التونسي محسن التليلي في دراسته الموسومة: الإسلام البدوي: إسلام الطوارق أنموذجا، أصول هؤلاء في هذه تخريجة حيث كتب: فالطوارق هم خليط من

---

[1] برباش رتيبة، مشكلة الطوارق في منطقة الساحل الافريقي وتداعياتها على الامن القومي الجزائري، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، العدد 9 دسمبر 2017، ص..30

[2] ليلى العاجيب، المرجع السابق، ص..9

[3] عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان مبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت 1971، ص 89.

[4] محمد سعيد قشاط، عرب الصحراء الكبرى " الطوارق"، ط4، 2008 م1428هـ الدار العربية للموسوعات. ص..23

سكان الصحراء الإفريقية القدامى، ومن الأمازيغ البربر، امتزج عبر التاريخ بعناصر عربية من بني هلال، ومن المسلمين المرابطين، ليشكل مجموعات قبلية منسجمة، سيطرت منذ القدم على طرق التجارة الصحراوية وواحاتها إلى المرحلة التاريخية المعاصرة.[1]

قال ابن كلبي: اختلف الناس في من أخرج البربر من الشام فقيل داود بالوحي مثل (يا داود اخرج البربر من الشام فإنهم جذام الأرض) وقيل: يوشع بن نون وقيل افريقش، وقيل بعض ملوك التبابعة

أما الطبري: فيروي حديث نسبهم بطريقة أخرى فيقول: "قال الطبري: خرج بر بن قيس ينشد ضالة بأحياء البربر فهوى جارية وتزوجها فولدت. وعند غيره من نسابة البربر أنه خرج فارا من أخيه عمرو بن قيس وفي ذلك تقول تماضر وهي أخته:

لتبكي كل باكية أخاها **** كما أبكى على بر بن قيس

تحمل عن عشيرته فأضحى **** ودون لقائه انضاء عيس.[2]

وينشد أيضا ليزيد بن خالد يمدح البربر:

أيها السائل عنا أصلنا * قيس عيلان بنو العز الأول

نحن ما نحن بنو بر القوى * عرف المجد وفى المجد دخل

وفي بيت اخر:

حسبك البربر قومي إنهم **** ملكوا الأرض بأطراف الأسل

[1] خليفي عبد القادر، المرجع نفسه.ص..245

[2] محمد سعيد القشاط، المرجع السابق ص 25

وببيض تضرب الهام بها **** هام من كان عن الحق نكل.[1]

ومعروف لدينا أن قبائل لمتونة ومسوفة، وكدالة، والذين يسميهم ابن خلدون (الأمتونة ومسوفة والكدالة) بالترتيب، كانت وراء إنشاء دولة الملثمين ودعوة المرابطين، خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، إلا أنه اختلف المؤرخون في نسبهم فرأي صاحب الحلل الموشية يذهب إلى قول بأنه " ليس بين المتونة وبين البربر النسب إلا الرحم، وصنهاجة يرفعون أنسابهم الى حمير وأنهم خرجوا من اليمن، وارتحلوا إلى الصحراء واستوطنوا بالمغرب، كما أن السنتهم تبربرت لمجاورتهم ولمصاهرتهم إياهم" ويدعم رأيه كذلك ابن الخطيب بحيث جعلهم من صنهاج من ولد عبد الشمس بن وائل بن حمير.[2]

أصلهم عند المؤرخين الغربيين:

هناك من كتاب الغربيين من يزعم أن أصل الطوارق ليس من البربر، وليس لهم أي علاقة لا بالبتر ولا بالبرانس ، وإنما هم من شعوب ما وراء البحر، ويذهب آخرون أنهم من أصل قوقازي، وهي منطقة عبور لهجرة الشعوب من اسيا الى اوروبا والعكس، وفي رواية أن الملك الغازي الأسطوري "هرقل Hercule " لما توفي في أسبانيا، وتشتت جيشه الذي غزا به أقطار آسيا وأوروبا، وكان يشكل هذا الجيش عدة شعوب مرة بعض من هذه الشعوب إلى إفريقيا ومنها الميديين Medes الفرس Perses والأرمن Arméniens ، ومرت فرقة من الشعب الجرماني حتى الفزان وشكلت فيه مدينة جرمة Djerma بالنسبة إليهم.

[1] محمد سعيد القشاط، المرجع السابق ، ص..27

[2] ابراهيم بتقه، لمحات من تاريخ قبائل الطوارق، المرجع السابق ص123.

ثم أطلق هذا الاسم على الشعوب المثلمة خارج التي تقطنه، ثم بمجيئ الرومان أطلق عليهم القرامونت إلا أن هناك من يرى أن القرامونت شعب خارج المنطقة، وغزا الغزات في العهد الإغريقي الروماني عهد هيرودوت ، وكانت عاصمتهم في القرن 01 غراما Garama ، والتي حولت إلى قرية جرمةDjerma، وكونت مملكة عظيمة وتوسعت حتى الصحراء الوسطى، وهو ما تؤكده الرسومات في صخور الجبال الهقار والطاسيلي ناجر ، ودعمتها ابحاث علم الاثار مثل المثل الباحثين الفرنسيين "غوتي E.F Gautier" و« ريغاس M.reygasse » في منطقة الفزان وينسبونها إلى حضارة الرومانية.[1]

تلك التسميات تدور في أغلبها ما بين الوصف والموصوف، الوصف لأنماط العيش ومواطن النجعة كما هو مجرى العادة في مسميات أغلب قبائل صنهاجة كمسوفة أو(إمسوفان) التي تعني سكان الرمال، ولمطة من "لمط" وهو حيوان يرمز لنمط حياة قبيلة "لطمة" أو "الرجال الزرق" كناية عن غلبة اللون الأزرق على ما يلبسه الطوارق، أو تنصرف إلى الموصوف لتتحدث عن مزاياه وصفاته الخلقية وتشوفه للمثل " كإيماجغن " التي تعني الرجال الأحرار أو الرجال الشرفاء.[2]

هناك من يقول عن الملثمين قوله وكان أول سيرهم في اليمن أيام أبي بكر الصديق – رضي الله عنه– فساروا إلى الشام وانتقلوا إلى مصر، ودخلوا إلى المغرب مع موسى بن نصير وتوجهوا مع طارق إلى طنجة، فأحبوا الإنفراد فدخلوا الصحراء فاستوطنوها إلى هذه الغاية.

ومنهم من يقول إن زناتة وصنهاجة التي تفرع منها الطوارق "هم قبيلة جيتولي القديمة" التي تسكن الجبال والتي انحدر منها الطوارق، مشيرا إلى أن في الزمن الذي حكم

[1] ابراهيم بتقه، المرجع السابق، ص08.

[2] أكنانه ولد نقرة ، المرجع السابق، ص..76

الفينيقيون البلاد العامرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية الى سلسلة جبال الأطلس، كانت اقوام يسكنون الجبال يطلق عليهم قبائل الصحراوية معروفة بالتوحش السلب والنهب والتجاوز.

كانوا يندفعون نحو الشمال لمواجهة الشعوب المتمدنة في المستعمرات، كلما احسوا فيها ضعفا، وعندما تستعيد قبائل الشمال قدرتها يضطرون إلى التقهقر ويرجعون إلى الصحراء للعيش.[1]

لا شك أن الطوارق من القبائل البربرية التي استوطنت منذ القدم الجزائر، ويكفيهم فخرا كسكان أصليين، أنهم أنشأو أول حضارة عبر التاريخ القديم، على اضفاف بحير الصحراء الكبرى، ولا تزال الدراسات الأنثروبولوجية والأركيولوجية تكتشف الروائع، التي تشهد على أن آثار تلك الحضارة عريقة ضاربة في القدم، ومن الدلائل التي تؤكد أن الصحراء كانت في عصور ما قبل التاريخ تختلف اختلافا جذريا على ما عليه الآن وجود مخلفات كبرى من رواسب الطمي المتراكمة في الصحراء وأحواض مغلقة تدل على أنها كانت مغطاة بشبكة مائية ومرعى خصيب.

يؤكد هذا على الإنتماء الدكتور فيليكس حين يقول إنه يعتقد عموما بأن الطوارق الفلات من جنس بربري، مثلهم مثل الصحراويين غير أنهم تميزوا بنمط حياة وتقاليد وعادات مختلفة تماما.[2]

ويستشهد البعض على ذلك بالحضور القوي المكون الأمازيغي في الثقافة الإجتماعية السائدة لدى عموم الطوارق، وهو ما يدفع الكثير من دعاة الأمازيغية الى اعتبار الطوارق رمزا منفردا للنقاوة وأصالة الثقافة الأمازيغية بتجلياتها المختلفة، وعن هذا

[1] بوسكين خديجة، المرجع السابق، ص..30

[2] أحسن دواس ، المرجع السابق، ص..37

التداخل بين المكونين الثقافيين الأمازيغي والطوارق يقول مؤلف كتاب (ايكولوجية وثقافة، الطوارق البدو) " إن غزوا للبربر البدو استعملت فيه الجمال قد بدأ في بداية العصر المسيحي، وكان هذا الغزو لقبائل بربرية أمازيغية أخرى كانت تسكن الهكار قبل ذلك التاريخ تسمى الآن القبائل (اسباتن) كانت المجموعات الأمازيغية التي تستعمل الجمال من النبلاء، وأن غزوهم لبلاد الهكار أعطى لنا ما يسمى الآن بالتقسيم الطبقي للمجتمع الطارقي: طوارق نبلاء، طوارق حلفاء"[1]

كانت لتسمية الطوارق على غرار أصلهم كما تقدم، تخريجات متنوعة، وقيل في تعليلها آراء كثيرة، غير أن المتفق بشأنه أن المتسمين بها لا يطلقونها هم على أنفسهم بل أطلقت عليهم من غيرهم من الشعوب المجاورة ولا سيما تلك التي دخلت في حالة عداء مع هؤلاء، فأطلقت عليهم التسمية سخرية بسبب الآثار المدمرة التي خلفتها الصراعات بين الطرفين، ثم شاعت في الإستعمال، في حين انتقى هؤلاء اسما آخر مستعارا من تراثهم ولغتهم، ايموهاغ الذي يعني النبيل.[2]

الانتساب

يعتقد بعض المؤرخين أن الطوارق هم أحفاد "الجرمنت" الذين عاشوا بسهول "فزان" وقد تحدث عنهم لأول مرة هيرود، ووصف حضارتهم بالعظيمة حين زار ليبيا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، ومر بفزان ووصف تربتها بأنها عبارة عن روابي من الملح تكسوها الينابيع وأشجار النخيل المثمرة وقال أنهم كانوا يزرعون التربة الخصبة ويستنبتونها فوق روابي الملح، ولفت انتباهه شكل قرون ثيرانهم وعربات خيولهم ذات العجلات الأربعة، والتي يستخدمونها لمطاردة سكان الكهوف حيث اتسموا بالمهارة البالغة في العدو.

[1] اكناته ولد النقرة، المرجع السابق ص..77

[2] خليفي عبد القادر، المرجع السابق، ص 247

وقد شاد هؤلاء الجرمنت الذين يطلق عليهم بعض المؤرخين أحيانا اسم الليبيين حضارة قوية سيطرت على الطرق التجارية الصحراوية، وكانت عاصمتهم تسمى جرمة وممن تحدث عنهم كذلك من قدامى المؤرخين (بليني) حيث وصف احتلال الرومان للمستوطنات الفينيقية على شاطئ المتوسط، واحتدام الصراع بينهم وبين الجرمن والذي وصل ضربه عام 62 قبل الميلاد عندما أرسل (بالبوس) الروماني حملة ضخمة لإخضاع بلادهم دون نجاح كبير.[1]

كبار السن من الطوارق ينسبون أنفسهم إلى العرب ويقولون إنهم من حمير، فكبار النسابة وأبرزهم ابن خلدون نسبوا قبيلة صنهاجة التي ينتمي لها الطوارق وكتامة إلى اليمن (حمير) دخلوا إلى شمال أفريقيا في ظروف خاصة مع الملك اليمني أفريقش.

حكام الزيريين الذين برزوا في المغرب الأوسط (الجزائر) وتحالفوا مع العبيدين ثم حاربوهم وطردوهم، ينتهي نسبهم بـ "الحميري" وهم من صنهاجة كما نعلم وشيخنا عبد الحميد بن باديس سليلهم رحمهم الله، قال الأمير المنصور يوسف بن بلكين بن زيري الصنهاجي متحديا العبيديين الروافض: "إن أبي وجدي أخذا الناس بالسيف قهرا وأنا لا آخذ الناس إلا بالإحسان ولست ممن يولى ولا يعزل بكتاب ولا أحمد في هذا الملك إلا الله **** فهذا الملك ما زال في يد آبائي وأجدادي ورثناه عن حمير.[2]

يعتقد العديد من الطوارق أنهم ينحدرون من جدة عظيمة بنت الدولة قوية وتركت مجدا مؤثرا، لا تزال شواهده شاخصة في جبال الهقار وكهوف أبالسا بشمال الجزائر حاليا.[3]

وعلى عكس أغلبية الشعوب الشرقية يعتز الطوارق بالإنتساب لأمهاتهم، حيث يصبح الثدي في نظرهم هو الموئل البطولة و *** لا ما يورثه الأب لابنه.

---

[1] بوسكين خديجة، المرجع السابق. ص 31

[2] الحارثي الجزائري يوسف، في نسب الطوارق وصنهاجة وكتامة. ص..12

[3] بوسكين خديجة، المرجع السابق ، ص 35

هناك اتجاه آخر جسدته كتابات وأصوات من داخل أبناء الطوارق أنفسهم يشدد على خصوصية واستقلالية الإنتماء العرقي والثقافي للطوارق بعيدا عن التجاذبات الإيديولوجية بين دعاة القوميين العربية والأمازيغية، والتي تحاول بتحييزهم لصالح هذا الطرف أو ذاك على حساب انتمائهم الهوياتي.

ويرى هذا الإتجاه أن الثابت الوحيد الذي يمكن التعويل عليه وفي ضوء استحالة الحسم العلمي في المسائل الأنثروبولوجية هو انتماء الطوارق إلى لأمة الإسلامية وفضائها الثقافي والحضاري، وهو الإطار المرجعي الذي أسهم الطوارق جنبا إلى جنب مع إخوانهم من أبناء العرب والبربر والزنوج في بناء نسقه المعرفي والمادي، حيث يشكل الإسلام إلى جانب المكونين البربري الأمازيغي والعربي أهم الأطياف الملونة للهوية الطارقية، ولم يشعر الطوارق أن هناك تنافرا أو تناقضا جوهريا بين المكونين.[1] يقول عمر الأنصاري في هذا الشأن: " ولا نعرف بهذه المناسبة ان الطوارق في الصحراء سجلوا او بطولة من دون مشاركة العرب لهم، وتنقل الينا المصادر ذلك الإختلاط العجيب الذي حدث بين الاثنين الى درجة ان بعض العرب تحولوا عن انسابهم الى لسان الطوارق لطول الجوار وتحول بعض الطوارق الكيفية نفسها، حتى تخيلوا انفسهم عربا في الاصل."[2]

ثالثا : النظام السياسي في المجتمع الترقي:

أما النظام السياسي لإدارة السلطنة فيقوم على مراتبية تتدرج من أعلى إلى أسفل، إذ يتربع على أعلى هرمها السلطان أو "الأمنوكال" متبوعا بشيخ القبيلة "أمغار" أو لأمغر ثم الإمام، وأخيرا تنتهي بما يعرف بالمجلس العام.

[1] أكنانة ولد النقرة، المرجع السابق، ص 65.

[2] مصطفى الأنصاري، الأحرار الملثمون، الطوار بين الارهاب والثورة والحب، جريدة الجريدة ، 30 نوفمبر 2011. ص..8

1- السلطان الامنوكال: وهو الشخص الأول في السلطنة الذي تتجمع بين يديه السلطتان التنفيذية والقانونية "التشريعية"، ولا يحق لأي كان الإعتراض على قراراته، غالبا ما يكون الشيخ أقوى القبائل في السلطنة وهذا اللقب من أشهر وأهم ألقاب الحكم عند الطوارق[1].

و جرت عادة الطوارق في القديم كما هي عند بعض ممالك السودان أن يتولى إبن أخت الملك أو السلطان خلافته في حالة الوفاة، غير أن ما إستقر عليه تقليد الحكم عندهم في العصور المتأخرة هو توريث أحد أبناء السلطان أو إخوته أو أبناء عمومته، حيث يتولى "المجلس العام" أو المجلس الإتحادي تسمية خليفة السلطان خلال إجتماع موسع يحضره مجلس الأوصياء ومجلس القضاء والأمراء وقادة الجند من أهل السلطنة وجيرانه، ومن أهم الشروط اللازم توافرها في السلطان: الحكمة والشجاعة وحسن السيرة والفقه بالدين.[2]

2- **شيخ القبيلة:** ويعرف في الطارقية "بأمغار" أو "أو أمقار " ويتولى تدبير شؤون قبيلته وفض النزاعات التي قد تنشب بين أفرادها، والدفاع عن حقوقها في مواجهة الخصوم، وتمثيلها في الإجتماعات العامة، إضافة إلى المهام الأخرى المتعلقة بمساعدة السلطان في تدبير شؤون السلطنة التي تنتمي إليها مجموعته القبلية.

3- **الإمام :** ومن المميزات التي حافظ عليها الطوارق هي تبجيل العلماء وتوقيرهم، وإحتضان جهودهم العلمية ورعايتها، فكانت لطبقة العلماء والفقهاء كلمتهم النافذة في بلاط الملوك والأمراء والسلاطين من صنهاجة بمن فيهم الطوارق إلى الكثير من ملوك

[1] معنى الأمنوكال: غير جمعا عليه، حيث يرى البعض أنها مكونه من لفظتين: أمين: كال التي تعني حقل او أرض، وعليه يكون معنى "أمنوكال" هو أمين الارض، أو مالك الأرض، وهناك رأي ثاني يقول أن معنى "أمنوكال" هو الزعيم الغير الخاضع لزعيم أو رئيس أخر.

[2] أكنات ولدالنقره، المرجع السابق، ص..78

المماليك السودانية، وقد تقلص هذا المنصب في السلطنات الطارقية بفعل تراجع النشاط العلمي الذي عرفته المنطقة قبل وأثناء وبعد دخول الإستعمار الفرنسي الذي كان الغزو الثقافي أحد أبرز أسلحته الناعمة في الفتك بعقول وقلوب الشعوب المستعمرة، سيما البلدان الإسلامية.

4- **المجلس العام أو المجلس الإتحادي:** ويتشكل من شيوخ القبائل المكونة للسلطنة وينعقد إذا دعاه السلطان لتدارس كبريات الأمور، وإتخاذ القرارات الأساسية من حرب وسلم وعلاقات متبادلة، إضافة إلى إختيار السلطان الجديد أو عزل القديم لدواع مبررة[1].

النظام الاجتماعي لمجتمع الطوارق:

إن المجتمع الطارقي هو مجتمع قبلي قلبا وقالبا، حيث تشكل القبيلة بالادولة الاسرة الأقوى التي تنحل فيها كل ولاءات الأفراد وظاهر التبعية والإنقياد لهم، فيظهرون حبهم الشديد لها وإستعدادهم للتضحية والولاء وهذا التحامي بالقبيلة والإعلاء لم يولد لدى الطوارق من فراغ بطبيعة الحال، إنما كان نتاج تضافر مجموعة مختلفة من الظروف والعوامل الطبيعية والسوسيو ثقافية، والتي جعلت منه مجتمعا ذا عقيدة إجتماعية راسخة تتوارثها أجيال الطوارق كابرا عن كابر[2].

الأسرة هي النواة الرئيسية لمؤسسة القبيلة التي نهضت بالكثير من الأدوار المنوطة بالحياة الإجتماعية، فقد جعل المجتمع من رعايتها والمحافظة على إنسجامها وتماسك أفرادها أحد الأهداف الأساسية، وغالبا ما يتوزع أفرادها الأدوار كل حسب ما يحسن،

[1] أكناته ولد النقرة، المرجع السابق، ص 79

[2] أكناته ولد النقرة، المرجع السابق، ص ..80

وخصوصا الأبوين، حيث ينهمك الرجال في المجتمع الطارقي التقليدي في الأعمال التكسبية من أجل إعانة أسرهم.[1]

ونظرا لقسوة ظروف العيش في الصحراء قد يضطرون للغياب عن أسرهم تلك الشهور بل وربما أعوام لجلب القوافل التجارية أو خفارتها في الفضاء الصحراوي الواسع الممتد من شمال مالي إلى الجزائر إلى النيجر وليبيا وحتى السودان مما ألقى متابعات أكبر على المرأة الطارقية التي كانت على مستوى المسؤولية والتحدي حين حظيت بمكانة مرموقة في مجتمع الذي يعتبر من المجتمعات الأمومية القليلة التي ينتسب فيها الإنتساب إلى "اللبان" الذي منحه بفضل الله الحياة والقوة، وعن ذلك يقول المؤرخ المصري النويري "إن جميع الملثمين ينقادون إلى نسائهم، ولا يسمون الرجل إلا بأمه، فيقولون إبن فلانة".[2]

فالمجتمع الطارق المجتمع قبلي أمومي "ما تریاقي" حيث إن الام او المراه تحذى بمكان متميزة في الاسرة عكس النظام الابوي "باتریاقي" الدارج في مجتمعات الريف والحظر، وبما ان رحلة الرجال للتجارة او للرعي يحتم على المراة تحمل مسؤوليتها ليس في اداره البيت وشؤون الصغار والمسنين فقط بل يتعداه الى الدفاع عن اذا اضطرتها الظروف لذلك، كما انها تعتبر المحافظة على التراث الشعبي للطوارق لتسعى الى تعليم ابنتها جميع الاعمال التقليدية من نسيج وطرز وما الى ذلك[3].

مجتمع الطوارق هو مجتمع تقليدي فأغلب علماء الأنترو بيولوجيا يشبه التقسيم الطبقي للمجتمع الطارقي بالنظام الإقطاعي إذ أن الطبقة المهيمنة في المجتمع التقليدي هي

[1] محمد السويدي ،بدو الطوارق بين الثبات و التغيير، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1989،ص32

[2] محمد السويدي، المرجع السابق، ص ..33

[3] مزارة زهيرة، ميلود عامرحاج، أزمة الطوارق في منطقة الساحل الأفريقي، مجلة آفاق للعلوم، العدد العاشر، جانفي 2018، ص29

الأرستقراطية المحاربة التي تسيطر على القوافل التجارية والحصيلة، التي تفرض على التابعين لهم ، أما السلطة فكانت تقتصر فقط على فئة الأحرار.

إن من العسير جدا تتبع جميع مراحل هذه القبائل وما تفرع من بطونها مما لا يأتي عليه الحصر ولا العد، وإنما ذكرنا منها ما إرتبط من قريب أو بعيد بالطوارق الذين سكنوا الصحراء وإتخذوها موطنا لهم، من قديم الزمان، فحاولنا توضيح أصلهم الذي يقول إبن خلدون إنهم من قبيلة صنهاجة الذين نزحوا من جنوب الجزيرة العربية، بالإضافة إلى مجالات تمركزهم وأهم السلطانات الموجودة عندهم وتركيبتهم الإجتماعية، وممارساتهم التقليدية من نسيج وطرز.

الفصل الثاني:

الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية لقبائل الطوارق

الفصل الثاني: الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية لقبائل الطوارق

المبحث الأول : طبقات مجتمع الطوارق

المبحث الثاني: المرأة ومكانتها في المجتمع الترقي

المبحث الثالث: الأوضاع الاقتصادية لقبائل الطوارق

الفصل الثاني: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لقبائل الطوارق

أولا: طبقات مجتمع الطوارق

يتميز مجتمع الصحراء الكبرى عموما والطوارق خصوصا بوجود فوارق طبقية متباينة ومتمايزة لدرجة أن التزاوج لا يتم في أغلب الأحيان بين طبقة وطبقة أخرى إلا ما ندر، وان حرفا معينة لا يقوم بها غير المصنفين في طبقة معينة وتعتبر مشينة لطبقة أخرى إذا ما قامت بها واهم طبقات المجتمع الطارقي الطبقات الآتية:

1-طبقة النبلاء (ايماجغن- أماشاغ – إموهاغ)

وهذه الطبقة تتكون من أولئك الذين يتمسكون بالعادات والتقاليد الطارقية العريقة والذين يبرزون أنفسهم ويفرضون شخصيتهم على الآخرين سواء في الحروب أو بمركزهم المادي أو قوة شخصيتهم، والسلطان وكذلك شيخ القبيلة يكونان من هذه الطبقة (النبلاء) وهناك قبائل تعتبر نبيلة وبمجرد أن يذكر إنسان أنه ينتمي إليها يعرف أنه من النبلاء ومن هذه القبائل:

أ. في أزواغ الأوسط:

كل نان- إراولن- تكرمت-إخيرخيرن-تلميديس-إيظرياقن- اقيران-كل اظار.

ب.في اوازغ الغربي و منحنى نهر النيجر :

كل أهار – كل تهنبات – إغطفانن – أودالن – إلوغمان – تتكريكيف [1].

[1] محمد سعيد القشاط، الطوارق عرب الصحراء الكبرى ، مركز الدراسات والابحاث شؤوون الصحراء، كاليري اطاليا 1989 ص 65.

ت.في آضر :

كل قبائل (كل اقرس) هي من النبلاء باستثناء عبيدهم ومواليهم

ث.في أزواغ الشرقي:

التنريفن – إكزكزن – كيل فروان – إفوغاس – إفدين

ج. في آيير :

كيل أواي – كيل تدلي – إيكركزن – كيل فروان – إفوغاس – كيل فداي– إهقارن – كل أغاروس

ح. الهقار و أزفر :

كل اغلا – تيطوق – إمنغساتن – إفوغاس – أوراغن – إلمطين – إمنان.

خ. في أضغاغ :

(جبل أفوغاس) إفوغاسن – إدنان

2-طبقة امغاد(Imghad):

وقد تكونت هذه الطبقة من الأسر والعشائر التي لم تساعدها الظروف على التمسك بالعادات والتقاليد الطارقية، ولم يلزم أصحابها أنفسهم بالمحافظة على الضوابط الإجتماعية الصارمة التي يلتزم بها النبلاء وذلك إما لكونهم لا يطمعون في تولي السلطنة ولا يرغبون في فرض أنفسهم على غيرهم من القبائل أو لكونهم قبيلة مقهورة تغلبت عليها قبيلة السلطان فاخضعتها لتبعيتها أو كانت من قبيلة غريبة وفدت إلى

المنطقة وهي في حالة ضعف يكفيها أن تحصل على السماح لها بالاستضافة وراعي مواشيها في مضارب القبائل المضيفة مقنعة بانضمامها إلى رعايا القبيلة الحاكمة ومن أشهر قبائل هذه الطبقة:

أ) في أزواغ الغربي (أضغاغ): كيل ولىّ – إلّكان – إركناتن – أبوغليتن.

ب)في ازواغ الشرقي : إينكلان – إلبكان – إنمّكراون – إيتكان – كل تبيكورت – إظمايات – إبرضيانن – كل البردة .[1]

ج) في الأيير : إبرّكالن

د) في الهقار و آزقر : كيل وليّ – تاغت ملت – إمقرغسن

ويقتصر عمل الإيمغاد على حرفة الصيد خدمة لأسيادهم النبلاء ويأخذ منهم السلاطين مرافقين لهم لخدمتهم كما تأخذ نساء النبلاء مساعدات وصديقات من نساء رعاياهم إيمغاد التابعين لهم.

وأفراد طبقة الايمغاد هم محاربون أشداء ويتخذ منهم السلاطين جل جيوشهم[2].

3-طبقة الفقهاء (إنسلمن): Ineslemen

تكونت هذه الطبقة من مجموعات من الأفراد تفقهوا في الدين وتفرغوا له وتولوا عملية نشره بين الطوارق وتحفيظ القرآن لأبناء الطبقات التي ترغب في تعليم أولادها.

وتكونت هذه الطبقة لدى الطوارق بعد ظهور الإسلام وهي طبقة محترمة يقدرها الجميع وينظرون إليها على أنها المحافظة على الدين الإسلامي في مجتمع الطوارق.

[1] إياد يونس عريبي، عفراء عطا عبد الكريم، العادات والتقاليد لدى مجتمع أبناء الطوارق في الصحراء الكبرى. مجلة بحوث الشرق الأسود العدد، 51، سبتمبر 2019 ص 21

[2] إياد يونس عريبي، المرجع السابق، ص 22

وأفراد هذه الطبقة في العادة لا يحملون السلاح ويلجئون دائما إلى حمى طبقة النبلاء التي تتولى الدفاع عنهم وحمايتهم.

ويكون الإمام دائما في سلطنات الطوارق من هذه الطبقة

وتسمى هذه الطبقة(إيمزوغن) أي المراوغة

وقد يسميهم النبلاء انتقاصا لقيمتهم (إبروكورين) أي تعيير لهم بلونهم الأبيض الأحمر على غير عادة لون طوارق المنطقة المائل للسمرة وهذه الطبقة تحمل لواء اللغة العربية وآدابها وفقه اللغة والأدب وهي في الغالب تنتمي إلى أصول عربية وبعضها ينتمي (لبني هاشم) حيث يدعون الشرف.[1]

ومن أشهر قبائل هذه الطبقة:

أ): كل أغلال: وهم فرع من قبيلة الأغلال المتواجدة ببلاد شنقيط

ب): الشريفن: وينتسبون لبني هاشم

ج): أيت أواري: ويقولون إنهم جاؤوا من الشمال من جبل هواري وقد ذكرنا انه موجود بالفقرة بليبيا

د): داغمنّا

هـ): إزاوتين: وهي بعض قبائل الزوايا الموجودة بموريتانيا

و): إجوانجواتن

ز): إكدالن : بقية قبيلة قدالة الصحراوية

ح): إداو إسحاق: جزء من قبيلة إداوإسحاق بموريتانيا وهي عربية

[1] محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص 67.

ط): كيل انتصر: تنتمي الى الأنصار بالمدينة المنورة قيل انهم جاءوا الى شمال افريقيا هروب من فتنة علي ومعاوية.

ي): إيكلاد

ك): الشيخن (كونتا): وهي قبيلة عربية تنتمي الى عقبة بن نافع الفهري ولهم شجرة نسب بذلك

ل): كل السوق: قبيلة عربية جاءت من برقة ولإلتزامها بالتعليم في سوق القرية (تضمكات) أسموهم اهل السوق.

م)إمسوفن: ومعناها الصحراويون وهم بقية قبيلة مسوفة الطارقية القديمة وقد عارض علماء مسوفة الفقيه عبد الله بن ياسين عندما جاءهم وناظروه كثيرا وانشقوا عنه.

و مسوفة واهل السوق متخصصون في الخط العربي وكتبوا الكثير من الكتب بأقلامهم ونسخوها وكذلك مصاحف القران الكريم كما أتخذ منهم السلاطين كتبة ومحررين لرسائلهم.[1]

ومن أشهر قبائل كل السوق:

كل تبراق (أهل برقة) – و كل تقلالت – و كل تنغاكلي كل إسكن– كل تتكريكدش وقد نزح كل السوق من مدينتهم التي دمرتها الحروب والجفاف الى مناطق أزواغ الغربي ومنحنى نهر النيجر ثم الى اطراف مناطق أزواغ الأوسط وقد بقي بعضهم في إفوغاس.[2]

[1] محمد سعيد القشاط، المرجع السابق ، ص 68

[2] محمد سعيد قشاط، المرجع السابق ، ص 68

4) : الحدادون (الصناع التقليديون): (إنيضن– ايكنوان – إيكدمان)

يقول الطوارق إن هذه الطبقة ترجع إلى عصور قديمة وأصول قديمة ويسميها الطوارق (إنيضن) ومعناها بلغتهم ابن العصر القديم ومفردها (إيناض) ويقول الطوارق إن الكتابات والنقوش القديمة في الصخور والكهوف هي من صنع (إنيضن) وهذه الطبقة تحتكر الصناعات التقليدية وهي التي تصنع كل لوازم الحياة في الصحراء كالمواد المنزلية، القصاع، الأقداح والخيمة من الجلد وأوتاد الخيمة وركائزها ورواحل الإبل وسروج الخيل وتجهيز الإبل بالأكياس الجلدية المنقوشة والمطرزة كما يصنعون آلات الحرب، الدرق، والرماح، والسيوف والخناجر.

ويصنعون الحلي للنساء والرجال كالخواتم والأقراط والأساور والخلاخيل والمجوهرات وصياغة المعادن، ولقد شاهدت الصناعات التي تصنعها هذه الطبقة في الصحراء فكانت على درجة عالية من الإتقان والجمال والنقوش المميزة بالصحراء.

ولقد شاهدت أن بعض الحدادين يصنعون أخمص البنادق ويصلحونها وآخرين يقلدون أي حلية ترغب أن يصنعوها لك بالمقاس نفسه والنقش نفسه والمعدن نفسه وإن شئت الميزان نفسه.[1]

ومما يزيد المرء إكبارا بدقتهم وقدرتهم العجيبة أنهم يصنعون ذلك بألات بدائية ويصهرون معادنهم في بوتقات على نار الخشب أو الفحم النباتي التي يؤججونها بمنافيخ يصنعونها من الجلد والخشب بطريقة فريدة ومتقنة.

وكل مجموعة من الحدادين أو الحرفيين يتبعون قبيلة من قبائل الصحراء الطوارق أو غيرهم وينتسبون إليهم ويقوم هؤلاء الحرفيون بخدمة أسيادهم من القبائل أخرى بحيث ينسب الحداد لسيده حتى في ذبح الشاة وسلخها وتقطيع لحمها لا يقوم به إلا

[1] محمد عبد الرحمان عبد اللطيف، الطوارق شعب الصحراء الكبرى، مخطوط مكتبة المؤلف، ص 21

الحدادون، ويعتبر غيرهم هذه الحرفة منقصة لهم فقد ذكرتني هذه الحادثة بكسيلة الذي أمره عقبة بن نافع بسلخ شاة واعتبرها إهانة حسب عادات أهله وبذلك انقلب على عقبة فقتله في القصة المشهورة وارتد عن الإسلام، رحم الله عقبة فإنه لا يعرف عادات قبائل المنطقة وبذلك خسر نفسه بخطأ كان بمقدوره يتلاقاه.

وحتى اللحم عند توزيعه على الآكلين للحداد لحمه المتعارف عليه فهو دائما نصيبه الرقبة والرأس والأرجل ولا يناولونه اطايب اللحم كما يفعلون مع (النبلاء أو أنيسلمن).[1]

واهم قبائل الحدادين أو بالأصح تجمعاتهم:

1- إكنوان: التي تتخصص في صناعة الطوب والخزف وأواني الطبخ والقدور وقلل تبريد الماء وقلل حفظ اللبن والسمن وغيرها.

2- إيكدمات: يتخصصون في صناعة الحصر وفرش المنازل وإحتياجات الخيمة وهؤلاء الحرفيون يقومون أيضا إلى جانب حرفهم هذه باستقبال الضيوف وترتيب الضيافة لضيوف أسيادهم، وإحياء حفلات السهر إذ يقومون ببعض التمثيليات البدائية المضحكة حيث شاهدتها عدة مرات في مناطق الصحراء وفي مناسبات الأفراح.[2]

ومن الحرفيين هؤلاء تخرج طبقة المغنيين والشعراء والمداحين الذين يسمون (يقيو) أو (تيقيوت)

وسكان الصحراء جميعا يخشون ألسنة هؤلاء الحرفيين إذ إن هؤلاء الناس عندهم لا يحفظون سرا وهم ثرثارون ويضربون المثل بثرثرتهم وهم طماعون جشعون وتضرب الأمثال بطمعهم وجشعهم، وترى الكثير من النوادر عن طبائعهم وجبنهم فهم لا

[1] محمد عبد الرحمان عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 22

[2] محمد سعيد القشاط، المرجع السابق ، ص 69

يشتركون في المعارك ولا يخوضونها وهم أتباع من غلب بالرغم من حذقهم صناعة الأسلحة.

وسكان الصحراء لا يردون طلبا لهؤلاء المغنيين حتى إن أحد أمراء منطقة (تجكانت) في موريتانيا أصيب في إحدى المعارك في يده ولم يستطع الأطباء الشعبيون علاجها وتعفنت يده وأرادوا قطعها حفظا لسلامته فرفض فأوعزوا أحد المغنيين الذين قدم بفرقته وأنشد يمدح هذا الأمير في قصيد طويل مشهور في مطلعه:

قوات اريامو كاملات **** في الضيق منين إيفاتن

صبحوا عندو مترجمات **** اليوم التيدينانتن

ومعناها الرجل الذي يشبع الجوعانين في سنوات الضيق والقحط والحرب أصبح اليوم عند المداحين يمتدحونه ويسألون العطاء.

ولما سال الأمير الشاعر ماذا يريد أن يعطيه؟

أجاب الشاعر: أريد يدك المريضة

وهنا قدم الأمير يده للقطع بالطريقة البدائية وبدون اي مخدر وناولها الشاعر الذي اخذها ودفنها بعيدا.[1]

5- العبيد والموالي:

(إيكلان – إيدرفان – إبروكن)

[1] محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 23

هذه الطبقة أغلبها من السود الذين كانوا يستخدمون لدى القبائل القوية وقد إمتزجوا بالمجتمع الترقي وأصبح كل شخص ينتمي إلى قبيلة سيده وعلى مدى الزمن تحرروا وأصبحوا جزءا من قبائل الطوارق التي صاروا ينسبون إليها.

وقد جاءوا في البداية كرقيق من أفريقيا عن طريق الشراء أو الخطف أو الإغارة ولكن آخرين منهم قدموا أنفسهم كعبيد بطوع أنفسهم لينقذهم أسيادهم الجدد من الجوع في سنوات القحط والمجاعة وليس شرطا أن يكون هؤلاء سود البشرة بل قد يكونون بيض البشرة جاءوا في البداية إلى مجتمع الطوارق كأسرى حرب من قبائل أخرى وبعضهم من قبائل الطوارق أنفسهم.

ويشتغل هؤلاء العبيد والموالي بالرعي لأسيادهم وخاصة رعي الإبل وهم مقتنعون بذلك وقد حاورت أحدهم ذات مرة عندما وجدته يرعى الإبل في الصحراء عام1973 وطلبت منه أن يرافقني إلى ليبيا ليشتغل هناك حرا بعيدا عن العبودية فأجابني ولمن أترك إبل سيدي؟ أجبته أتركها له يرعاها فضحك مني وهو يقول سيدي لا يرعى الإبل وتركني والتحق بإبله التي إبتعدت عنا.

كما يقوم هؤلاء بالزراعة وأعمال المنازل كخدم منازل وجلب المياه من الآبار والحطب لإشعال النار الموقد في الخيمة وليس لهؤلاء الناس قبيلة مخصوصة وإنما هم متوزعون في كل القبائل.

أما الموالي: فهم أبناء العتقاء الذين كانوا من البداية عبيدا وتحرروا منذ عهود الإسلام الأولى وأصبحوا يزاولون أعمالهم الخاصة ضمن قبائلهم المتواجدين فيها.

وتسمى هذه المجموعة في موريتانيا (اكراطين) وقد يتزوج السيد من أمة فينتج ابن هجينا يصبح حرا بحكم مولده وهكذا يتكاثر السود في القبائل الصحراوية والطارقية من أبناء الإماء وخاصة في سلطنات (تمزقدا) و (كيل أقرس) و (آبير).[1]

ثانيا: المرأة ومكانتها في المجتمع الطارقي

للمرأة في مجتمع الطوارق مكانة عالية وعظيمة أكثر من الرجال ولها الحرية في التصرف ولها منزلة كبيرة لأنها تنجب الشجعان والنبلاء، فالمرأة الطارقية تملك البيت وكل ما فيه من أثاث هي تقوم بجلب اللبن وتحضير الحطب وإذا أراد الزوج شيئا فعليه أن يطلبه منها أولا وعلى العموم فان المرأة الطارقية تتمتع باستقلال ذاتي.[2]

تتمتع المرأة في المجتمع الطوارقي المتمركز بالصحراء الكبرى بمكانة مرموقة رائعة تحسد عليها حيث لها وضع خاص في تركيبة المجتمع الطوارقي حيث تلعب النساء أدوارا متميزة داخل هذا المجتمع مخالفة عن مناطق الجزائر الأخرى وإذا كان الإسلام يسمح للرجل بالزواج بأربع نساء شرعا نجد أن الطوارق لا يتزوجون إلا بامرأة واحدة.[3]

وإجمالا فالمرأة هي الأمينة على ثقافة الطوارق التقليدية ويظهر أثر الطارقية في النظام الاجتماعي بأن الطارقي يرث الطبقة التي تكون عليها أمه بصرف النظر عن الطبقة التي ينتمي إليها الأب فإن الرجل عندما يتزوج سيدة أعلى طبقة من طبقته الاجتماعية

[1] أكناته ولد النقرة، الطوارق من الهوية الى القضية، المركز الموتارني للدراسات البحوث الاستراتجية ، س 2014 ، م ، بريس ، الرباط

[2] حساين زهية، تومي باية: مقاومة قبائل الطوارق للإحتلال الفرنسي في الصحراء الجزائرية خلال مطلع ق 20، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص دراسة إفريقية، قسم العلوم الانسانية ، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة ص 27.

[3] محمد السويدي. محاضرات في الثقافة والمجتمع، طبعة الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 77

فإنه عمليا ينال مكانة أعلى حتى ولو ظلت مكانته من الناحية النظرية هي مكانة قبيلته.[1]

2- الخطبة: هي وعد بالزواج وتتم عند الطوارق بطريقة التي اعتاد عليها جل المسلمين بحضور ولي الزوج ووالي الزوجة وجمع من الأقارب وشاهدي عادل ومرابط رجل تقي من الأشراف حيث يجتمعون في خيمة أهل العروس يتبادلون الحوار في تحديد المهر وتاريخ موعد الزواج وفي حالة إتمام الاتفاق بين العائلتين تقرأ الفاتحة وترفع الأيادي وتدعو للزوجين أو الخطبين بالبركة تتبع بالزغاريد النسوة إعلانا عن الزواج ثم يقدم التمر والحليب لربط أواصر المحبة بين العائلتين[2] لقوله تعالى: "ومن آياته إن خلقا لكم من أنفسكم أزواج لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون "[3]

3- **المهر**: يحدد المهور حسب إمكانية العائلة وحسب انتمائهم القبلي فإن كانت المرأة من قبيلة النبلاء فسبع نياق، أما لدى الموالي والعبيد فيكون اثنين من الماعز كما يختلف ذلك بين السلطنات فبعضها أكثر وبعضها أقل وأصبح الأخير هذا المهر أسميا يدفع مؤخرا وقد لا يدفع وخاصة النياق السبع تدفع منها واحدة وأكثر وتذكر في العقد على أساس أنها ستدفع وغالبا ما يكون أجر الزوجة (المهر) من الماشية أو عمل يؤديه الزوج في حقل والد الزوجة.[4]

---

[1] محمد سويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغيير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 97.

[2] هاشمي أمال، الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماستر جامعة وهران. 2007-2008، ص 36

[3] سورة الروم، الاية 21

[4] نكرا حنان، حمو علي مباركة، قبائل الطوارق من خلال المستكشفين هنري دوفير وشارل دوفوكو، انموذجا مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر 2020-2021، ص11

4- **الزواج:** من الخصوصيات الهامة في مراسيم الزواج لدى الطوارق في الماضي القريب ان لا يدخل الزوج على زوجته إلا بعد إتمام المهر وتسليمه كاملا لأسرة العروس أما حين الزواج فإن على الزوج احترام زوجته وتقديرها لذلك يعتبر ضربة عارا ومذمة يحتقر بسببها الرجل القبيلة كلها إلى درجة يضطر معها إلى مغادرة موطنة نحو وجهة أخرى، كما يتم الإحتفال بزواجها وأثناء الحفلة تتلقى الهدايا من الرجال المقربين إليها قصد الزواج غير أن العادة تستوجب ألا تحملها معها إلى البيت بل تجرد بها (تصدق) على المحتاجين.[1]

وإلى جانب المهر فإن أم العروس تشترط "تاغتست" أو هديتها الخاصة وعادة ما تكون ثورا أو حملا مع بعض الحلي منها أربعة حدايد فضة أو ذهب وثلاثة خواتم من الفضة أو الذهب وسلسلة واحدة وان طريقة تقديم (تاغتست) وهي جهاز العروس تجتمع النسوة في مخيم لتهنئة أم العروس بخطبة ابنتها ويتحلقن حول التندي وهو جلد مربوط على هاون يشبه الدربوكة عند أهل شمال أفريقيا.[2]

وان البنت التي تتزوج لأول مرة تبقى سنة في رعاية أمها حتى تنقل أساسيات القيم العرفية منها في أسلوب تكوين البيت وتربية الأطفال ومعاملة الزوج ويبقى الزوج بجوار أصهاره والمرأة مع أسرتها إلى أن تلد مولودها الأول حينها يكون مخيرا بين البقاء مع أصهاره أو الرحيل إلى أهله.[3]

كما أن الزواج يقع عادة داخل العشيرة التي تنتمي اليها الام وتاتي صلة القرابة والطفل الذي يولد عند الطوارق يرث الجاه والثروة عن طريق الام واطفال الطوارق يعيشون في

---

[1] بشي ابراهيم العيد، مكانة المراة الطارقية ، استاذ مساعد قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، ص 171.

[2] محمد سعيد القشاط، طوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وشؤون الصحراء كاليري اطاليا 1989 ،ص 91

[3] محمد سعيد القشاط، ، المرجع نفسه ، ص 166

حضن عشيرة التي اختار الابوان الانتماء اليها بصفة دائمة والمراة الطارقية التي يتوفى زوجها واصبحت ارملة ولها اطفال هؤلاء الاطفال عندما يكونون عزابا يعيشون تحت وصاية خالهم وهو اولى برعايتهم من احد اعمامه وعندما يتزوج احد منهم تعيش معه امه مع اخواته.[1]

تعدد الزوجات والطلاق

لا يحق للرجل الطارقي في الزواج أكثر من امرأة واحدة وأغلب الطوارق لا يجمعون امرأتين في عصمة الرجل وحتى إذا أراد أن يتزوج فيطلق الأولى، لكن الآن بعضهم يتزوج بأكثر من واحدة ولكنه قليل جدا، أما تعدد الزوجات فهو غير معروف لدى مجتمع الطوارق فإذا أصيبت المرأة بمرض مزمن أو عقم فإن الرجل يختار البقاء معها أو يطلقها غير أنه من اللائق في عرفهم أن يحتفظ بها ويتزوج بغيرها في آن واحدا فالمرأة لا تقبل معاشرة رجل متزوج والزوجة لا تستمر في العيش مع زوجها إذا علمت بحبه لغيرها.[2]

والطلاق هو فك الرابطة الزوجية في حالة استحالة العشيرة بين الزوجين وبعد عجز كل طرق الصلح وإرجاع الثقة والمودة بين الطرفين ولا يحدث الطلاق عند الطوارق إلا نادرا فيعتبرونه أبغض الحلال عند الله[3] لقوله تعالى " " الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخاف ألا يقيم حدود الله". سورة البقرة، الاية 229.

[1] بشي ابراهيم العيد، مكانة المراة الطارقية ، استاذ مساعد قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، ص 172.

[2] المصدر نفسه، ص 172

[3] محمد السعيد القشاط،المرجع السابق، 101.

إذا رغبت المرأة الطوارقية في الطلاق من زوجها ولم تعد تطيق البقاء معه فإنها تنتقل إلى منزل أهلها وترسل له مع أحد الرجال الموثوق فيهم وتقول له (أنا هاربة منك) فيقوم هذا بنحر جمل أو ثور ويكرمها وتجري مراسيم الطلاق وتنتظر العدة ثم تتزوج من آخر، أما إذا كان زوجها متوفيا فخرج بعد نهاية العدة وتأتي إلى خيمة أحد العلماء وتقول له (أنا هاربة إليك وأريد أن تكتب لي حجابا ينجيني من شر الإنس والجن) فيفهم العالم ويبقيها في حمايته إلى أن تتزوج إن لم يكن لها أهل.[1]

يطلق الرجل زوجته في الحالات التالية:

- في حالة الخيانة والعقم
- عدم اهتمام المرأة بالرجل
- ويمكن للمرأة أن تطلب بالتطليق
- عند عدم دفع الزوج للمهر كاملا
- عند إساءة الرجل للمرأة
- في حالة عدم رضى المرأة الزوج في الأساس.[2]

في الختام يمكن القول ان المجتمع الطارقي يتكون من خمسة طبقات : طبقة النبلاء وإمغاد و الفقهاء (إنسلامن) وطبقة الحدادون او مايعرف بالصناع التقليديون واخيرا وطبقة العبيد والموالي ، أما الجانب الاقتصادي للطوارق فيشغل بتربية المواشي من إبل وماعز ويتخذون من ألبانها طعامهم الرئيسي ، وان مكانة المراة الطارقية ترجع الى زمنا بعيد كانت لها سيطرة تفوق سيطرة الرجل ضمن العائلة فلها حق في اختيار الزوج الذي يناسبها في المقابل ذلك ينتظر منها ان تلد للقبيلة الكثير من الأبناء.

[1] بشي ابراهيم العيد، المرجع السابق، ص 173.

[2] تكرة حنان حمو علي مباركة، المرجع السابق ، ص 12

ثانيا : الأوضاع الاقتصادية لقبائل الطوارق:

أ) تجارة القوافل: إن هذا الإتصال بين شعوب القبائل البسيطة أكسبت كثيرا من ملامح النظام الإقتصادي الحديث فعرفت فكرة السوق والتعامل بالنقود وهذا ما أدى إلى تغيرات عميقة في الحياة الإقتصادية[1] وكان الطوارق يفرضون رسوم المرور على القوافل التي تمر على أراضيهم بالإضافة إلى الغارات التي كان يشنونها على قبائل أخرى والمدن المجاورة، كما فعلوا لتنبكتو بعد غزو المغاربة لها في القرن18م بعد ضعفها، كما أن موقع الطوارق وسط الصحراء الكبرى جعلهم حلقة وصل بين الشمال الإفريقي للمغرب والجزائر وتونس وليبيا وبين قبائل الهوسا[2] في ممالك كانم[3] وقاو[4] ، وكذلك بحيرة تشاد وسط أفريقيا وحتى بلاد غانا فهم تجار قوافل ينقلون الى الجنوب الملح الذي يحضرونه بالما "تاودني"[5] وهي من السلع النادرة قليلا بحيث كان العبد يشتري بموقع قدمه ملحا وأن الملح يباع بوزنه ذهبا كما ينقل الطوارق القماش والأغطية والفرش المصنوع من الصوف القادمة من الشمال يحملون من الجنوب الذرة والدخن والأرز إلى منتجعاتهم ثم يسيرون في قوافل إلى الشمال تحمل ريش النعام

[1] أبو زيد أحمد، البناء الاجتماعي– الأنساق، القاهرة: دارالكاتب العربي للطباعة والنشر،ج2،1965ص264.

[2] هي الدوارة وكانو وكراك وكاشينا ورانوا وأنغارا ، وكانت تحد شمالا بصحراء أكداس وشرقا ببورنو وجنوبا بنهر بوناوي وغربا النهرالنيجر ،ينظرمحمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، الكويت، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، ج1، ص70

[3] إقليم على بعد 500 ميل شرق النيجر، ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج2، ص173

[4] عرفت بعدة أسماء وهي حاليا في جمهورية مالي على الضفة اليسرى لنهر النيجر على بعده44 كلم من تيمبوكتو لقد بلغت ذروتها في عهد الساقيين، ينظر، عبد الرزاق عبد الله، تاريخ الحضارة العربية بغرب إفريقيا، ص53

[5] قامت تاودني حول سبخة الملح الشهيرة بإسم (تغازي الغزلان) ورغم أن أملح تغازي الواقعة على بعد 100 كلم إلى الشمال وملح إيجل كان أجود مما توافرت عليه تاودني فإن القرب من تيمبوكتو (عشرةأيام) اعطاها المقام الاول من حيث كان كمية الأحمال المنقولة، ينظر، محمد الغربي، المرجع السابق، ص587

والجلود والسيوف والدرق والإبل حيث يبيعونها في أسواق "غات" مرزق، توات "[1] ويعودون معهم مصنوعات الشمال[2].

عرفت التجارة الصحراوية بالاحتكار الأمر الذي يضاعف مستوى الأرباح الذي يحققه سكانها من مردود مادي، حيث كانت هناك مراكز تلعب دورا هاما في تجارة الصحراء لأن معظم السلع التي تجلب من مدينة "كانو" في نيجيريا و "تينبكتو" "وقاو" و "أجدر" وكانت بالضرورة تمر بهذه المراكز ومنطقة تاسيلي ناجر وساهمت هذه التجارة بالعبور بين البحر الأبيض المتوسط وافريقيا السوداء واستمرت التجارة على هذا الحال إلى غاية القرون الوسطى وبعد ذلك بدأ احتلال الأمن في الطرق الصحراوية عادة بغرض أخذ قبائل الطوارق "إتاوات" على التجار وخاصة في عهد "امنوكال أخنوخن"[3] في مقابل حماية تلك القوافل من غدامس إلى توات والعلاقات التجارية كانت متينة مع افريقيا في عهد قيام الدول الإسلامية القوية، التي قامت بتأسيس نظام تجاري مرتبط بين هذه الدول عبر الصحراء في مختلف الدول شمال افريقيا منذ تأسيس المماليك الإفريقية بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر الميلاديين.

بالإضافة إلى تجارة الطوارق مع بلاد السودان في أوائل العصر الوسيط حيث كانت بلاد المغرب تستورد أعظم جزء من الذهب الخام الذي يصل إليها من ثلاث طرق صحراوية-:

---

[1] إقليم جغرافي شاسع يقع في جنوب غرب الصحراء الجزائرية، وأصل كلمه توات مختلف فيها، فيوردها البعض إلى اللغة التكروية ويقصد بها الألم والوجع الذي يصيب رجل الانسان ينظر: عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات، وتأثيراتهم في بلاد السودان الغربي من القرنين 15 -16، رسالة ماجيستر في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 20 محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص77.7600-2001، ص13

[2] محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص77.76

[3] هو زعيم طارقي تولى سلطنة الزجر في القرن 19م وكان مركزها غات وصل الرحالة الفرنسيون والانجليز الى غات وغدامس عن طريقه وعقد معه اتفاقية ينظر: القشاط محمد سعيد، أعلام من الصحراء بيروت ، دار الملتقى ، 1997، ص 94.

- الطريق الغربي (عبر سلجامسة)[1]

- الطريق الأوسط وهو الأهم (عبر ورقلة)

- الطريق الشرقي الذي يمر على منطقة تاسيلي ناجر (عبر طرابلس مرورا بغدامس)[2]

ب) تربية المواشي:

يمارس الطوارق الرعي بإعتباره أهم مورد اقتصادي لهم وإتباع قطعانهم بحثا عن المراعي المناسبة ، فالمعروف عن الطوارق القاطنين في بيئة صحراوية جافة لا تصلح فيها الزراعة وذلك لإعتمادهم على تربية المواشي من الجمال والأبقار والنعاج والمعز التي تشكل قطعان كبيرة تلزمهم دائما على البحث على أماكن رعي جديدة وتوفير المياه لسقيها، حيث تعتبر الثروة الحيوانية عنصر أساسي لدى الطواق وتوفر لهم اللحم والحليب ، اما الحبوب فهم ينتظرون ماتوفره القوافل التجارية أو يغزو المناطق الجنوبية الفلاحية فكل واحد له حيواناته ومواشيه، فماشية وقطيع الزوج تختلف عن قطيع وماشية الزوجة التي حصلتها أو أتت بها من عند أهلها حتى الأولاد يشكلنا ماشيتهم وقطيعهم منذ الولادة عن طريق الهدايا التي تمنح في اليوم السابع من طرف الأب والأم أو العم أو الخال وتختلف قيمة الهدية على حسب كل واحد وهناك من يقدم ناقتين أو بقرتين أو عنزتين لذا فتشكيل قطيع كل فرد ضروري ويضعون علامات خاصة على قطيع كل فرد من أجل عدم تعرضها للسلب أو السرقة من طرف الآخرين ويكلف العبيد بشؤون هذه القطعان.[3]

---

[1] بنيت 140 هـ وهي تعد أهم مركز تجاري هام للقوافل الصحراوية ويصل مجاورتها لبلاد السودان والصحراء معا، ينظر: القاهرة :دار الكتاب الاسلامي ، ج2، ص 237.

[2] بشي العيد إبراهيم، المرجع السابق ، ص 155.

[3] بتقة إراهيم ، مقاومة الطوارق للإستعمار الفرنسي في إقليم النيجر (1890-1920)، مذكرة تخرج لنيل شهادة اماجيستر في دراسات الإفريقية ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة الجزائر 2009-2010م ، ص 86

ج) الحرف:

وهي الصناعات التقليدية المتمثلة في صناعة كل لوازم الحياة في الصحراء كالمواد المنزلية ، القصاع ، الأقداح والخيمة من الجلد، وأوتاد الخيمة ، ركائزها ورواحل الإبل وسروج الخيل وتجهيز الإبل بالأكياس الجلدية المنقوشة والمطرزة كما يصنعون آلات الحرب والحرق والرماح والسيوف والخناجر ويصنعون الحلي للنساء والرجال كالخواتم والأقراط والمجوهرات والخلاخيل وصياغة المعادن لقد شاهدت الصناعات التي تصنعهاهذه الطبقة في الصحراء فكانت على درجة عالية من الإتقان والجمال والنقوش المميزة بالصحراء.[1]

[1] محمد سعيد القشاط ، المرجع السابق ، ص 69.

الفصل الثالث :

الأوضاع الثقافية والحضارية عند الطوارق

الفصل الثالث: الاوضاع الثقافية والحضارية للمجتمع الترقي

المبحث الأول : اللغة والفنون عند الطوارق (الرقص ، الموسيقى ...)

المبحث الثاني : عادات وتقاليد المجتمع الترقي عبر التاريخ

المبحث الثالث: قبائل الطوارق من خلال الكتابات الأجنبية (أخذ نماذج)

الفصل الثالث: الأوضاع الثقافية والحضارية عند الطوارق

أولا: اللغة والفنون عند الطوارق

1- لغة الطوارق

من المتعارف عليه بأن اللغة هي مرآة المجتمع، إن كانت الثقافة ظاهرة خلقية وتوعوية تنجم بين بني البشر فاللغة هي مصدرها ونبع وجودها.

تناول عدد من الباحثين لغة الطوارق وأصولها من "غويته" خلال تعرضه لموضوع الطوارق فيما كتابه وهم يتكلمون لغة البربر ويكتبونها ولهم حروف هجائية تسمى "تيفيناغ"

ويقول بعض الباحثين أن التيفيناغ من أصول فينيقية، إذا حللنا الأبجدية التي يستعملها الطوارق وهي لغة الفينيقيين الذين سكنوا شمال الإفريقي حيث إذا جردنا الكلمة تيفيناغ من حرف "ت" بقي لدينا فيناغ إلا أن البعض يعارض ويقول إن الفينيقيين الذين أسسوا مستعمرات في شمال أفريقيا ولم تسر عاداتهم ولم تنتشر لغتهم في عمق الدواخل وفي القرن الخامس ميلادي نسيت تماما حتى في السواحل حتى أن بعض الآثار القديمة والمخطوطات والأشكال التي استعملتها أقوام الشمال الأفريقي المعروفون بالبربر منذ عهود ما قبل التاريخ مستقلة تماما وليست لها إي علاقة بها.[1]

الطارقية هي لسان الطوارق، هذا المجتمع المنفرد في عاداته وتقاليده وكذا في لغته التي تكتب بالحروف خاصة تسمى التافيناغ أو التاماشاك التي استطاع الطوارق الحفاظ عليها عبر الأجيال والعصور وتكتب حروف التافيناغ بشكل عمودي أو أفقي حسبا رغبة الكاتب من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين وأن اتجاه الحروف

[1] الشاوي اللا له البكاي أماهين، الطوارق عبر العصور ، ط1 ، دار الكتب الوطنية بنغزي ليبيا 1983 ، ص 273.

يكون من الأعلى إلى الأسفل أو من الأسفل إلى الأعلى غير أن الطريقة العربية أي من اليمين إلى اليسار هي الطريقة الأكثر شيوعا.[1]

التيفناغ: هي الحروف الطارقية التي يكتب بها الطوارق لغتهم وذكرنا أنها هي نفس الحروف (الفينيقية) التي نقلها الفينيقيون معهم من الشمال إلى شمال أفريقيا قبل الميلاد.

وتحتوي هذه الأبجدية على اثنين وعشرين حرفا ولهذا يضطر الطوارق لتركيب حرفين لإعطائهم حرفا آخر غير موجود في ابجديتهم وتلتقي حروفهم مع الحرف الحميري القديم (المسند) في كثير من الحروف مثل: (ل) (اا) و ال (ش) و (التاء) (+) حيث لا تزال مستعملة في الكتابة الارتيرية حتى الآن كما أن الدال (د) هو نفسه الدال العربي أما الترقي إذا أراد أن يتناول موضوعا مهما ويرسله إلى شخص آخر بعيد ويتوقع أن تقع رسالته في يد الأعداء فإنه يضطر إلى الكتابة في كل الاتجاهات من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين ومن فوق إلى تحت ومن تحت إلى فوق وهنا يستغرق فك رموز الرسالة الواحدة عدة أيام.

وحروف الطوارق لا يتقنها إلا الطوارق بل تتقنها النساء والخدم وبعض الذين تعلموها من النساء

أما سلام الطوارق عندما يلتقون فأكثره عربي صميم فيقولون:

السلام عليكم: وهي تحية الإسلام

أسيلان: ومعناها أسألك عن حالك

الخير غاس : إننا في خير عميم، وغاس نزل وتعمق[1].

[1] Duvegrier.Henré : des touarges du nord paris,1864,p388-389

ويسألونك عن الاسم فيقولون:

ماسمنيتن كي: وهي نفس كلمة ما اسمك

ويقول (الحمادي يا الله) ومعناها الحمد لله.

والدارس لهذه اللغة يدرك أنه ثمة تشابه بينها وبين اللغة العربية فمثلا فعل أطس الذي يعني بالطارقية ينام يصرف كما يلي:

اطسع: نمت (أنا)

تطسد: نمت (أنت)

نطس: نمنا (نحن)

يطس: نام (هو)

كما نجد إستعمال النون عادة في البربرية للربط بين الضمائر تماما مثلها في العربية وبالمقابلة مع جمع المؤنث السالم نجد، (التاء) في كلمة الخالات أي النساء تدل على التأنيث.

إذا هناك تضارب في أصل هذه اللغة، فهناك من يقال إن هناك صخرة كبيرة بالقرب من مدينة "غات" مليئة بنقوش كتابة للتفيناغ فكلمة للتيفيناغ يعني بالترقية الحروف التي تنسب للفينيقيين.[2]

[1] محمد سعيد القشاط، طوارق العرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وابحاث شؤون الصحراء ، كاليري اطاليا 1989، ط2، ص 32-33

[2] الشاوي اللا له البكاي أماهين، المرجع السابق، ص 274

2- (الفنون، الرقص، الموسيقى...)

الرقص: الطارقي يعشق الرقص والموسيقى، فهو يرقص اذا افرح ويرقص اذا اغضب ويعالج مرضاه ايضا بالموسيقى والرقص ولكل مناسبة عند الطوارق رقصاتها، فللمريض يرقصون وللعائد من السفر يرقصون وللمولود يرقصون وللعرس يرقصون وللختان يرقصون وللحرب يرقصون ولربيع يرقصون وللمطر يرقصون، فالطارقي ذواق الموسيقى والفن.

في حفلات الرقص يرقص الجميع وحتى كبار السن تراهم يحركون رؤوسهم واكتافهم في مجالسهم على انغام الموسيقى وقرع الطبل ويصرخون صرخاتهم المميزة وحتى الجمال (المهاري) ترقص اذ تهرول على ايقاع الطبول (التيندي) وللطوارق مجموعة من الرقاصات بعضهم يخص الرجال وبعضها يخص النساء وقليل منها والرقصات المختلفة

رقصة السلاح في إحدى الساحات الواسعة ينتظم الرجال في صفين متقابلين متواجهين ويتسلحون بعصي يرفعونهم بأيدي ممدودة وأحيانا فوق الرؤوس ثم يديرونها في شكل مروحة المطحنة، ويقترب الصفان في خطى قصيرة متقطعة حتى مسافة مترين من بعضهما عندها يوجه الرجال عصيهم إلى الأرض في حين يشتد قرع الطبول ثم تطلق النار ويعود الطابوران القهقري و بالخطى نفسها ويستمر ذلك بعض الوقت ثم يقوم كل الراقصين بتشكيل حلقة ويدورون بخطى اسرع حول العازفين الذين يشتد حماسهم كل هذا وسط صياح المتفرجين والحاد[1]

[1] محمد سعيد قشاط، الطوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، .1989، ط2، ص 148.

رقصة الرمح: شاهدت في بلدة غدامس الحفلات التي تقام في ساحة السوق حيث يجلس العازف الغيطة ومن حوله مجموعة من النسوة الغدامسيات يقرعن على دفوف صغيرة ويغنين ويرقصن الغداميسيون رقصاتهم الخاصة بهم وهم على اي حال ليسوا طوارق.[1]

ولكن فجأة يندفع أحد الطوارق في لباسه الفضفاض وعمامته الكبيرة ولثامه الذي لا يظهر منه إلا عيناه وبيده رمح يمسكه من وسطه ويشير به إلى الأمام وهو يتقدم بخطوات متقطعة جاعلا أحد رجليه تمشي على أصابعها والأخرى تمشي سوية، ويتقدم وهو يهتز وئيدا حتى يصل العازفين حيث يتراجع بحماس وسرعة فيشتد قرع الطبول ويصدح صوت الغيطة فيدور الطارقي حول نفسه مطلقا صيحة حادة وتنفخ ملابسه وهو يدور بسرعة ثم ينتظم الرقص من جديد مرة يقع ومرة يتطاول حتى يتعب فينسحب متراجعا إلى خلف وقد ينطلق طارقي آخر، وأحيانا يلتقي اثنان معا في الحلبة ويصفق الحاضرون مع الإيقاع وهم يقولون (المخا ياطارقي).

رقصة التام تام: وهي رقصة يقدمها الطوارق للمريض الذي يستعصي علاجه فيعتقدون أن الجني قد ركبه ولهذا يعزلونه في خيمة نظيفة ومزخرفة وبعيدة عن الحي ويقوم أحد الرجال العقلاء بخدمته ولا يسال أحد عنه أو عن نوع مرضه. ويقومون له برقصة (التام تام) على عدة ليال ويعزفون له الموسيقى ويقولون إن كثيرا من هؤلاء المرضى يشفون.

المهاري: وللجمال نصيبها من الرقص إذ حيثما تعقد احتفالات الطارقية فإن الجمل لا بد وأن يكون موجودا.

[1] المرجع نفسه، ص 149.

والسباق بين الجمال لا يكون بطريقة السباق المتعارف عليه وإنما للطوارق طريقة أخرى هي أيضا راقصة إذ يجلس الفرسان الطوارق على رواحل مهاريهم المزينة بسيور الجلد ونقوش الحدادين على غرائر الجلد المزركشة وتتدلى من الجمال سيور الجلد التي تنزل بطريقة متجانسة من كلا الجانبين حتى ركب الجمال.[1]

ويصطف الطوارق اربعة أربعة أو خمسة خمسة ويندفعون بجمالهم التي تعدو جنبا على أغنام اقرع الطبول وغناء النسوة وزغاريدهن حتى يمروا بجانب النسوة القارعات للطبول والجالسات في منبسط من الأرض ويتجاوزهن بحوالي مائة متر ثم يدورون للوراء بخفة ونظام حيث يواصلون الجري في الإتجاه المعاكس وهكذا.

وتنطلق المجموعات في جريها الراقص تتاليا دون أن يسبق أحد أحد ودون أن يجتاز الفارس مجموعته إلى قرب المغرب، إذ عندما مغيب الشمس تقترب الجمال من النسوة وتدور حولهن، ويتناول الفارس الذي يتوقع أن جمله هو الأسرع منديل أجمل امرأة بين الجالسات ويهرب به وتنطلق المهاري خلفه والذي يلحق به يكون هو الفائز ويرجع المنديل، أما إذا استطاع أن يوصل المنديل إلى الحي دون أن يلحق به أحد الجمال فيكون أسرع الفرسان وينال بذلك التقدير والإعجاب، وقد شاهدت هذا في قبيلة منغساتن بدرج عندما كنت مدرسا بها 1959-1961

وإلى جانب هذا هناك رقصات خاصة بالنساء يرقصنها في الخيام عندما يكن وحدهن على قرع (التيندي).

3- الموسيقى: للصحراويين جميعا مجموعة من الآلات الموسيقية المصنوعة في الصحراء والتي يعزف عليها الحذاق منهم من طبقة (الحدادين) في الأعراس والأفراح ولعل أهم آلة في بلاد الطوارق التي يشيدون بها بما يشبه التقديس هي:

[1] محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص 149.

الأمزاد: ويسميها العرب الليبيون (القمبري) وهي عبارة عن قدح من الخشب يربط على فم جلد شاة ويخرج من طرفيه عودان يشد بينهما قضيب من شعر الخيل كما يثقب الجلد ثقبين أو ثلاثة في الوسط، ويأخذون عودا على شكل هلال ويربطون طرفيه بقضيب اخر من شعر الخيل (شعر الذيل) ويدعكون الشعر ببعضه فتصدر صوتا جميلا يغيرون نبراته بتدييل أصابع اليد اليسرى حيث تكون اليد اليمنى منهمكة بالدعك وهذا الآلة أشبه ما تكون بالربابة العربية أو (الكامنجة) الأوروبية.

وفي ليالي سمر شباب الطوارق يجتمعون عند فتاة جميلة تجيد العزف على الأمزاد فيتحلقون كل كثيب رمل يستمعون في إصغاء يشبه الموت لصوت الآلة وأصابع الفتاة تحرك بها أوتار القلوب وتغني على أنغامها فتزيد الصحراء وسكونها صوت رهبة وخشوعا ليس له مثيل في الصحراء.

وعند انطلاق الطوارق للحرب يجتمعون ليلة هجومهم على العدو أو خروجهم للغزو جميعا يستمعون الأمزاد إلى الصباح حيث ينطلق الجميع من ذلك الموقع ركوبا على جمالهم باتجاه العدو، والذي يخشى العدو أو يتأخر يذكرونه بليلة الأمزاد فيتقدم لأن الجميع سيسمعون ليلة ما بعد العودة أخبار المعركة تغنى على الأمزاد وتذكر الشجعان كما تذكر ايضا الجبناء.

وإني لأذكر أغنية رواها لي أحد الطوارق (منغساتن) في معركة وادي الثلث ضد الإيطاليين 1923 علق بذهني تعريبها الذي يقول:

انطلقنا للحرب

الجهاد ضد الكفار

ومنا من يذكر احاديث الجلسات في الخيام

ومنا من انشغل عقله من هول المعركة المنتظرة

ومن هؤلاء "إدريس"[1] الذي وضع راحلته مقلوبة

وذلك لشدة حيرته.[2]

والطارقي يعتبر الأمزاد شيئا مقدسا، وبعضهم يقسم به واذا ما فاجات الطارقي وصاح صيحته المعهودة فإنه كثير ما يقول في هذه الصيحة (الامزاد) ولا تخلوا اي مناسبة مفرحة عند الطوارق من الأمزاد

تزامت : وهي قصبة صغيرة بها أربعة ثقوب يعزف عليها أحد الرجال بالنفخ وهي أشبه (بالناي) غير ان النغمات التي تصدرها هذه الآلة خاصة بالطوارق

وتعرف هذه الآلة في ليالي السمر عندما يكون الرجال وحدهم في مراعي الابل في الصحراء.

المزمار: وهو المزمار العربي نفسه يعزف بالطريقة نفسها

الغيطة: وهي آلة الغيطة المعروفة قصبة متوسطة الطول في أعلاها قصبة صغيرة تصدر صوتا عندما ينفخ فيها النافخ وبها ثقوب يحرك عليها اصابعه وبأسفلها قطعة مستديرة تشبه القمع.

وهذه الآلة تعزف في أغلب مناطق الشمال الإفريقي وترافقها (الدنقة) أو الطبل وهذه الآلة تعزف في سلطانات الطوارق في المتاخمة للهوسا وفي القرى والمدن ويسمونها (الغيطة)

[1] إدريس أحد أفراد المجموعة وضع السرج على جمله مقلوبا لإنشغاله بالمعركة

[2] محمد سعيد القشاط، المرجع السابق ، ص 146.

تيندي: وهي آلة ايقاع، عبارة عن (هاون) مربوط على فوهته جلد شاة وتضرب عليه النساء في الإحتفالات وهو أشبه (بالدربوكة) في شمال افريقيا.

الدف: وهو قليل الوجود عند الطوارق ولكنه يتواجد في الطوارق الحضر في المدن (غات، اوباري، تمنغست، آقدز، تينبكتو، طاوة) وغيرها يضرب على الدف النسوة في الإحتفالات.

الساج: قطعتان من النحاس يمسكهما الراقص بيديه ويضربهما على بعضهما بعض فيصدران صوتا يناسب الإيقاع الراقص، ويستخدمها العبيد في رقاصاتهم الخاصة بهم في بلاد الطوارق وغيرها لأنها آلة إفريقية.[1]

الخلخال: وهي حلقتان من النحاس يلبسهما الرقص في رجليه وكل حلقة لمعلقة عليها مجموعة من الأجراس ويحرك الرقص بإيقاع منتظم فتتجاوب الأجراس مع الإيقاع الذي عاد ما يكون على الطبل ومناسبا للرقصة التي يرقصها لابس الخلاخيل وهذه من رقصات الحدادين والعبيد عند الطوارق

هذه جل الآلات الموسيقية المستخدمة في بلاد الطوارق ونختمها بأكبر هذه الآلات وأشهرها وأجلها قدرا عندهم وهي الطبل.

الطبل: الطبل بالرغم من أنه آلة إيقاع ويستخدم أحيانا في الأفراح كإيقاع لسباق المهاري، إلا أنه أجل قدرا من أن يستخدم في مثل هذه المناسبات فهو رمز السلطة وعنوان هيبتها ورمز قوتها، والخيمة التي تحوي الطبل لا يمكن أن تكون غير خيمة السلطان، وإذا ضرب الطبل يستمع كل الطوارق لعدد الضربات ونوعها لأن في ذلك نوعية النداء وغرض من المهمة.

[1] محمد سعيد القشاط ، المرجع السابق ص 147

لهذا الطبل لا يعبثون به، ومخصص لضربه شخصا موثوق فيه لا يمكن أن يقرعه إلا بإذن السلطان ويكون دائما من عبيده المطيعين.

ثانيا: العادات والتقاليد لدى مجتمع الطوارق

للطوارق عادات وتقاليد متميزة تختلف بإختلاف الجنسيات والبيئات إلا أن تواجد عادات وتقاليد خاصة بعائلة أو قبيلة أو ثقافة، فجميع الأفراد ملزمون بعاداتهم وتقاليدهم ويعتبرونها قوانين لا يمكن تجاوزها كما تتضمن هذه العادات والتقاليد آلية التعامل مع المناسبات للعامة ، وطبيعة التواصل والتعامل بين الرجال والنساء تبدو هذه العادة الغريبة ينفرد بها المجتمع الطارقي عن غيره من المجتمعات البدوية فالشاب الطارقي لما يبلغ سن البلوغ له الحق في الحضور حفل المحادثة أو المقابلة، حيث يكون هناك إختلاط بين الرجال والنساء، وربما حتى تعارف الذي يعقبه الغناء والرقص والموسيقى ، فنرى هذه العادات غير موجودة في أماكن بدوية أخرى[1]

وللطوارق خصوصيات سلوكية التي صارت جزء لايتجزأ من ثقافتهم وحياتهم وتحولت من مجرد أفكار وأراء إلى أسس ثابتة لا يمكن تغييرها او تجاوزها ومن أهم العادات والتقاليد التي يتميز بها الطوارق نذكر منها:

اللثام: يعتبر مجتمع الطوارق هذه العادة منذ فجر التاريخ حيث يغطي الرجل رأسه بعمامة من القماش الأسود فالغالب يلفها حول رأسه بإحكام عدة لفات حتى لا يظهر من وجهه سوى أهداب عينيه ليرى بهما وتقول الرواية التي تشبه الأسطورة أن سبب ذلك إن الطوارق هاجمهم العدو في أحد مخيماتهم ذات مرة وانهرم الرجال ولكن النساء

[1] إبراهيم العيد بشي ، طاسيلي ناجر الحياة الاجتماعية و الاقتصادية فالمجتمع الطارقي قديما وحديثا، الجزائر: منشورات الجبر. ج4 . ط1. 2009، ص 68

لبس العمائم وملابس الرجال وضيق اللثام وممطين ظهور المهاري وطاردن العدو الذي هاله كثرتهن فترك لهن الأموال.[1]

وفر هاربا منذ ذلك الوقت بدأ الرجال يتلثمون لتغطية وجوههم من عار الهزيمة والنساء يكشف عن وجوههن إعتزازا بالنصر الذي حققه[2] ويقول إبن العذاري " وهم قوم يتلثمون ولا يكشفون عن وجوههم ولذلك سموهم بالملثمين وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفا عن سلف وسبب ذلك على ماقيل أن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد تفعله الخواص منهم فكثر ذلك حتى صار تفعله عامتهم" [3]

فالشاب في سن العشرين يشرع له إستعمال هذا التقليد حيث تقام إحتفالات كبيرة على شرف الشباب الذين وضعوا اللثام فالطارقي الملثم لا يرى وجهه أحد حتى أهله وأصدقائه ويظل هذا اللثام طوال النهار والليل وربما عند النوم وأثناء تناول الطعام يكشف الملثم عن فمه لتناول الأكل ومنهم من يرفع اللثام ويضع الطعام وبالرغم من هذا اللثام إلا أن الطوارق يعرفون بعضهم بسرعة بالرغم إن الانسان لا يعرفون بعضهم حتى فوق ظهور الابل من بعيد.[4]

اللباس التقليدي لدى الطوارق: يختلف لباس الطوارق عمن سواهم من سكان الأرض حيث ان هذا الاختلاف يكاد يكون شاملا، فلباسهم الخاص فانهم على دوام قميص فضفاض إلى درجة الافراد يتخذون من القماش أبيض وآخر اسود يميل نوعا ما الى الزرق هو عريض يبلغ مترين ونصف متر أما طول فحسب قامة لباسه ويبدأ إرتداء العمامة (اللثام) على الدوام من البلوغ إلى الوفاة وتشمل عدة أقمشة أبيض أسود يميل

[1] محمد سعيد القشاط الطوارق عرب الصحراء الكبرى . المرجع السابق، ص89.

[2] محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص98

[3] إبن عذاري، لبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت، دار الثقافة، ج4، ص128

[4] عبد السلام بوشارب ، مرجع سابق ، ص 73

إلى اللون الأزرق ذا صبغة نيلية براقة شديدة اللمعان أو قد تكون حمراء اللون من الصوف الناعم ذات خطوط حريرية زاهية والشاش يعتبر إشعارا لا يمكن تركه ومن تجاسر وتركه كسر لقوانين مجتمعه ويسمون الشاش (توكير لموست).[1]

ويضع الطوارق نعالهم من جلد الماعز مثبتة على قطعة من جلد الجاموس أو جلد البقر مقاوم للإحتكاك والتآكل أما النساء يلبسنا لحافا فهي أقمصة خاصة بهم ذات طول بالغ، أما بالنسبة للأطفال حدد الطوارق لباس فوق الكعبة ولا يخاط منه سوى الجيب ويتجنبون إجراء أي خياطة و يقولون به ويقولون أن خياطته يؤخر نمو الطفل[2].

السمر: يلتقي الطوارق شبابا وشابات خارج الخيمة في عراء الصحراء حيث يوقدون نارا ويستمعون إلى الغناء والعزف على الة الطرب (الأمزاد) ولا يتحرجون من أن يجلس كل شاب إلى جانب عشيقته يحادثها ويسهر معها في عفة دونما شيء يحرج الطهر أو الحياء ويسمون ذلك (تهالة) ومن غريب صنعهم في هذا التجمع أن الشاب عندما يجلس إلى صاحبته لا يمكن أن يقوم عنها أو يتحرك أو يقوم لشيء حتى لقضاء الحاجة وذلك إلى الفجر حيث ينفرط الجمع ويذهب كل شخص لشأنه، ولو قدر و أن قام من مجلسه ثم عاد فإنه يسقط من عين صاحبته ويعتبر في نظرها كاذبا في حبه لأن هناك حاجة أخرى تشغله عنها ويمكن أن تجعله يقوم عنها ويمكن أن تجعله يقوم عنها وقد تختبر الفتاة حبيبها وكذلك هو الآخر يختبرها.[3]

---

[1] ينظر ملحق

[2] بوسكين خديجة، جانت أرض أموهاغ، شهاده لنيل الماستر، السمعي البصري وفضاء عمومي، كلية العلوم الاجتماعية، القسم: علوم الاعلام والاتصال، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2017 2018، ص37

[3] محمد سعيد القشاط، الطوارق عرب الصحراء الكبرى، ص90.

الإحتفالات:

يحتفل الطوارق مثلها مثل المسلمين بعيد الفطر والأضحى حيث يجتمعون أمام المسجد ينتظرون الإمام لتقديم الخطبة التي تتمحور حول الإرشاد والوعظ وبعد الصلاة يقوم الشباب بالسباق على خيولهم كما تقام مهرجانات والموسيقى وطرب الطبول والغناء والرقص ويحضرها النسوة والأولاد والشباب في المساء كما تحتفل الطوارق بيوم عاشوراء حيث تضع فيه كميات من الطعام ويدعى إليها الناس ويقرأون القرآن والمدائح النبوية وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كما وجد الطوارق في يوم عاشوراء فرصة لإحياء بعض العادات القديمة فيما يحتفظون بعظام الأضاحي إلى يوم عاشوراء فيكسرونها ويضعونها في طعامهم دون معرفة السبب، كما يعقد الطوارق حفلات الترويح على مريض يئس الأطباء من علاجه فيعتقدون أنه مصاب بالجن فتقام الموسيقى وغناء والرقص ويعتقدون أنها تطرد الجن[1]، وتجتمع الطوارق في شهر الخريف (أغسطس– سبتمبر) حول الآبار المالحة ويقومون بالمهرجانات والمسابقات على المهاري وحفلات الرقص والموسيقى والمبارزات بالسيف والرمح والجري والمصارعة[2] كما تقدم عروض لعبة (الكرة) بين المنتجعات وهي كرة صغيرة يضربها اللاعب بالعصا وتتبارى النسوة يسمينها (الكري) وتنقسم الى مجموعتين كل مجموعة من حي والمجموعة التي توصل الكرة إلى المنافس. تعتبر منتصرة.

أسوات : وهي حفلة تخص الشباب من الجنسين حيث تعقد الشابات في صف والشباب في الصف المقابل وتقوم النساء بالغناء والرجال بالمصارعة وهناك رقصة خاصة أسوات تسمى زيغ[3].

[1] محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص104.103

[2] نفسه، ص104

[3] محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص106.105

أكراش: لعبة تشبه السباق يقومون بها في فصل الخريف وهي أن تذهب مجموعة من الشباب من أحد الأحياء إلى حي آخر من منطقة أخرى ويطلبون منهم أن يعطوهم أكراش وهو غطاء رأس أجمل امرأة في ذلك المنتجع وعندما يناولونهم إياه ينطلقون بأقصى سرعة إلى مجتمعهم وقد يتبادلونه بينهم بحيث دائما يكون في يد الأسرع وأصحاب المخيم الذي أخذ منهم يطاردونهم مسرعين أيضا إذا ما لحقوا بهم يرجعونه منهم وإذا لم يستطيعوا لحق بهم يعتبر عارا عليهم[1].

ثالثا: قبائل الطوارق من خلال الكتابات الأجنبية

أولا: التعريف بدوفيريhenry duveyrier

مولده ونشأته: ولد هنري دوفيري في باريس1840 منذ وقت مبكر أرسله والده وهو لا يتجاوز الرابعة عشرة إلى ألمانيا لدراسة التجارة ولكن الطفل لم يلبث أن تفتح عن عقل علمي شديد الميل إلى الملاحظة في ذكاء نادر في مثل سنه، فبعدما تعلم اللغة الألمانية والفرنسية في نفس الوقت أخذ يسجل ملاحظات عن حياة الطيور وعن النبات وقام أيضا ببعض الأرصاد الجوية في ولاية بافاريا التي كان يعيش فيها.[2]

أما دراسته فقد أتمها في مدرسة التجارة في مدينة ليبزج Leipzig خلال فترة بين (1855 1857) ولكن دوفيري لم يشعر في نفسه استعدادا لممارسة التجارة بل إن كل عمله وأمله كان ينحصر في السفر إلى إفريقية وقد جاء في مذكراته قول: " " كنت أشعر بجاذبية لا تقاوم إلى القارة الأفريقية وهذه الرغبة العارمة والميل إلى السفر والمغامرة سوف تغذيها قصص أسفار المستكشف هنري بارث[3]. الذي عاد إلى وطنه

[1] نفسه: ص106.

[2] انظر الى الملحق

[3] مكتشف ألماني تعلم في جامعة برلين وتجول على حافتي حوض البحر الأبيض المتوسط على أقدام مما جعله يكتسب خبرة في المشي كما تمكن من تعلم اللغة العربية لذلك اتصلت به الجمعية الانجليزية من اجل تنظيم تجارة

في الوقت الذي كان فيه دوفيري لا يزال مقيما في ألمانيا وهذه الرحلة أثارت دويا آنذاك في جامعة ليبزيج والذي كان له من جهة علاقات بالمستكشف بارث الذي كان يعطيه دروسا في العربية ولما استقر عزمه على السفر غلى إفريقية لم يجد معارضة من أبيه[1]

ب) **رحلاته:** قام دوفيري بإعداد رحلته الإستكشافية التي أراد أن تكتسي طابع علمي بكثير من عناية والتدقيق فاطلع على الكثير من الكتب واستشار الكثير من الأوروبيين والمتخصصين في شؤون الصحراء وكذلك قام في البداية بتعلم الأدوات وطرق تحديد المواقع طولا وعرضا وهو أمر حيوي في كل محاولة في القيام بالإستكشاف العلمي وقد زار عدد من المتاحف وتمكن خلال هذه الزيارات من إتمام معلوماته في جيولوجيا وعلم الطبيعة[2]، كما طلب من المستشرق والناقد الشهير روتان مده بمعلومات عن الايثنولوجيا[3] والسلالات الصحراوية وبعد سنة من التحضير والإستعداد يتقن الرحالة من أنه وضع القواعد التي ستمكنه من نجاح رحلته وقد كتب فيما بعد يقول "كنت أعرف أن التي أقوم بها ليست خالية من الأخطاء ولكنني كنت أشعر بثقة كبيرة في قوتي وأنا آمل أتجنبها بالصبر والحذر والنشاط وأن تنتهي الرحلة على خير وجه وأكمله"[4]

لها في السودان والصحراء وخاصة تجارة العبيد ، ينظر مياسي ابراهيم، التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881 – 1912) منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996، ص 48

[1] العربي اسماعيل الصحراء الكبرى وشواطئها ص 82 83

[2] بن صوشة فوزية: المشاريع الاقتصادية التوسعية الفرنسية في الصحراء الدزائرية في النصف الثاني من القرن 19 مشروع البحر الصحراوي الداخلي 1874 انموذجا خير الدين شجرة ، مذكرة الماستر، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم تاريخ، جامعة بوضياف مسيلة 2015-2016

[3] يهتم بالدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الانتوغرافية بهدف الوصول إلى تصورات نظرية أو تعميمات تحدد مختلف النظم الاجتماعية من حيث أصولها و نوعها

[4] الكرجع نفسه، ص 11- 12

وإلى الجريد في الجنوب التونسي بعدما طلب الضمانات والتوصية في تأمين طريقه بتونس وإتجه إلى فاس عن طريق شط الجريد وقبيلي وتغزاوة ودوز ثم رجع عن طريق الشمال إلى قفصة ثم توزر ويوم 03 أفريل قرر الرجوع إلى بسكرة[1] عن طريق تشبيكة وتمغزا، إتجه بعدها غربا إلى بسكرة عبر نقرين وواحات عين الناقة وسيدي عقبة، ودخل بسكرة يوم 10 أفريل 1860 وبعد هذه الرحلة كلّف الوالي العام للجزائر الرحالة دوفيرييه بأن يقوم برحلة إلى الطوارق من أجل ربط علاقات بين فرنسا والطوارق وبعث له الدعم الكافي لهذه الرحلة، فغادر بسكرة في جوان 1860 وتوجه الى مدينة الوادي ومنها إلى غدامس بمساعدة الشيخ عثمان[2] وبعض الطوارق، وزار منطقة غدامس التي تعرف فيها إلى غات ثم تجول في منطقة فزان ثم صعد إلى طرابلس ومنها إلى الجزائر، لكن الظروف الصحية والمالية التي واجهته لم تسمح له بمواصلة رحلته الاستكشافية ورغم ذلك فقط قدم معلومات هامة حول هذه المناطق في كتابه" طوارق الشمال" كما هيأ الارضية المناسبة لإنجاز معاهدة غدامس بين فرنسا والطوارق[3].

2-الطوارق من خلال كتابات دوفيريه

(إجتماعيا ،ثقافيا، اقتصاديا)

أ) **إجتماعيا:** إن هذا الجانب نال إهتمام كبير من قبل دوفيريه في كتاباته بعد معرفة الطبيعة والارض وأن يعرف أصل القوم الذين يعيشون عليها وطريقه تفكيرهم فغاص

[1] هي بلدة بالمغرب من نواحي زاب وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة وبه جبل ملح يقطع منه كالصخر الجليل تعرف ببسكرة النخيل، ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان: بيروت دار صادر، 1955 ، ج 4 ، ص 422.

[2] هو بمثابة وزير الخارجية وقد مثل في مهمات متعددة خارج سلطنة آزجر على مستوى الصحراء الكبرى ويقال أنه سافر إلى باريس وبقي عدة سنوات في مهمة تهم السلطنة ونسعى لوصول فرنسا إلى غات وغدامس وعقد مع الفرنسيين معاهدة غدامس 1862 ، ينظر سعيد القشاط: الطوارق عرب الصحراء الكبرى، ص 240.

[3] حساين زهير، تومي باية، مقاومة قبائل الطوارق للإحتلال الفرنسي في الصحراء الجزائرية خلال المطلع القرن 20 ، ص 45

عميقا في عدد من الامور نستنتج من خلالها أنها هي التي مكنته من فهم النظام السياسي عند الطوارق بسرعة فعلى سبيل المثال لا الحصر في إطار ملاحظاته عن المرأة فهم دوفيرييه المكانة المرموقة التي تحظى بها لدى مجتمع الطوارق[1]، هي الأم التي تهتم بالخياطة وحياكة الخيام وتركيبها وإنشائها، حيث تقضي معظم أوقاتها تحت الخيمة وترتيبها للاطفال وطهي الغذاء فاذا ما أنهت عملها سرحت شعرها الطويل أو شعر إبنتها مشكّلة ضفائر طويلة تطلى بالزبد وتربط بحزام وتلوى للخلف والعمل اليومي للمرأة الطارقية هو أقل تعب من المرأة العربية إذ نجد خادمتها تساعدها في تنظيف الخيمة وجلب الشات والنوق وجلب الماء من الابار ورعاية الاطفال عند المشي، فحين نجد السيدة تعلم إبنتها الخياطة والقراءة والكتابة التيفيناغية كما تقوم بزيارة أقاربها وفي المساء في حضرت زوجها تحمل ألة الامزاد لتعزف نوطات موسيقية ترفه بها عن نفسها وعن أسرتها ولها دور في منح الزعامة كما أدرك حرية الملك لدى المرأة وعدد من التفاصيل وصلت إلى غاية الدقة.[2]

كذلك عرف مكونات المجتمع الطارقي حيث قدم معطيات كاملة عن القبائل ضمن كل كونفيدرالية بتسمياتها ومميزاتها وطبيعة نشاطها كما تناول مسألة الطبقية و لم يتوقف عند هذا الحد بل تناول المبررات التي يتخذها كل طرف من أجل تبرير موضعه الذي هو عليه ضمن هذا النظام الاجتماعي وذكر منها الإثني المتعلقة بالوراثة والعقدي والمتعلق منها بالدين وحتى بعض التصرفات والاحتفالات وحتى طريقة الأكل لم يغفل عنها هذا فعلى سبيل المثال تحدث عن عدم أكل رجال طوارق أمام النساء وغيرها من القضايا الاجتماعية.[3]

---

[1] كديدة محمد مبارك، المرجع السابق، صفحة 69.

[2] Henri Duverier,op, cit. p340-341.

[3] المرجع نفسه ، ص 69

أما عن اللثام فيرى أن الأسياد يضعون اللثام الأسود تمييزا لهم عن الأتباع الذين يرتدون الابيض ويدعو أيضا إلى التساؤل: لماذا لا ترتديه المرأة إذا كان يحمي الفم والانف من المؤثرات الخارجية؟ كما يرى أيضا من الصعب وجود أصل لبس اللثام.[1]

ب)**ثقافيا:** تجلى هذا الجانب بإهتمام دوفيرييه بتعلم لغة الطوارق التي تدعى التماشق وكتاباتهم التي تدعى بالتيفيناغ وشاركهم حياتهم اليومية وراح يستسقصي أخبارهم وجناياهم ويدون هذا كله في مذكراته، وتبين ذلك في: كتابات دوفيرييه حول الصحراء الجزائرية وقع إختيارنا لمجموعة من الكتب هنري دوفيرييه متخذا منها نموذجا وعددها أربعة منها المعنون ب :ملاحظات على الطوارق وبلادهم Note sur les touareg et leur pays وكتابه المعنون بطوارق الشمال Les toureg du nord وكتابه المعنون بالسفر في الصحراءVoyage au sahara وكتابه المعنون بالصحراء الجزائرية التونسية Sahara algerien et tunisien

1) **كتاب ملاحظات على الطوارق وبلادهم:** جاء في أربعة وعشرين صفحة يسهل على القارئ قراءتها ربما لقلة الصفحات ولكن الصعب في هذه الكتاب أنه من غير فهرس للمواضيع الواردة فيه مما يسهل التناول السريع للقارئ الذي يختار التنقل من المواضيع ولا يجب التدرج في مطالعة الكتاب كاملا فإنها أول ملاحظة يلاحظها على الكتاب ولكنها لا تنقص من قيمته التاريخية ولا من حجم المعلومات الواردة فيه.[2]

[1] هاشمي آمال الوضع الإجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، صفحة 99-101.

[2] كديدة محمد مبارك، المرجع السابق، صفحة 65 – 66.

2) **كتاب طوارق الشمال:** صدر هذا الكتاب الرئيسي في باريس 1964 في 479 صفحة ويتضمن معلومات ومشاهدات غزيرة ووثائق قيمة على الرغم أنه لم يزر المراكز الرئاسية لطوارق مثل منطقة تشيلي والهقار.[1]

03) **كتاب سفر في الصحراء:** حجمه هو ليس بالحجم الكبير فصفحاته ثمانية و خمسين صفحة 58 وبدون فهرس لأن هذا المصدر دون يوميات الذي يحمله العنوان فيتطلب من القارئ تتبعا متأنيا لكل ما يورده التاريخ المعني في هذه اليوميات التي تكتب في أصلها بشكل يشبه التقارير.

04) **كتاب الصحراء الجزائرية والتونسية:** يحتوي هذا الكتاب على مائتين وأربعة صفحة (214) والذي جاء أكثر تنظيما حيث حمل تنظيم وشكل الكتاب الحديث وهذا ربما رجع إلى كونه أحدث بالنسبة لنظرائه حيث طبع سنة 1905 ومقسم إلى خمسة أبواب وبه فهرس للأماكن وأخر للشخصيات وأخر للنباتات وأخر للحيوانات، ورغم أن الكتاب لم يعني فقط بالصحراء الجزائرية لوحدها إلا أن المصطلحات الواردة فيه والمعلومات والتسميات جاءت فيه دقيقة.[2]

05) **إقتصاديا** : ركز دوفيريه على الجانب الاقتصادي من خلاله كتاباته كما كانت من أكبر نتائج رحلته الإستكشافية هي ربط علاقات إقتصادية مع طوارق أزجر تمثلت في معاهدة غدامس 1862 بين الشيخ أخنوخن وممثلي الحكومة الفرنسية بإسم راندون التي بموجبها أصبحت فرنسا طرفا في التجارة الصحراوية وبعض الأنشطة كالزراعة و الرعي وقد فتحت هذه العلاقات الاقتصادية الفرنسية أبواب الصحراء على مصراعيها ليس لتحقيق الأرباح فقط ومنافسة الطوارق ونظرائهم الإنجليز الذين كانوا أعضاء في نشاط التجارة الصحراوية قبل مجيء الفرنسيين ولكن الملاحظات التي يجب ذكرها هي

[1] بدوي عبد الرحمان، موسوعة المستشرقين، المرجع السابق، ص 165

[2] كديدة محمد مبارك، المرجع السابق، ص 65-66

أن الفرنسيين قد إستخدموا هذه العضوية في أعمال التجسس وخدمة مخططاتهم التوسعية في الصحراء سعيا منهم للسيطرة عليه و أيضا إستعمالها كجسر لربط مستعمراتهم في شمال وغرب القارة.[1]

ثانيا: التعريف بشارل دي فوكو charles de foucauld [2]

1- مولد ونشأته

ولد شارل دوفوكو في 15 سبتمر 1858 بستراسبورغ بفرنسا ينحدر من عائلة أرستقراطية، عاش يتيما منذ أن بلغ 6 سنوات درس على يد حده الكولونيل دمورلي ، وكان يعيش في ظروف متميزة من الحرية[3] ، كما تأثر بأسلافه الذين كانوا منهم رهبانا خدموا الكنيسة الكاثوليكية ، وقد ظهر هذا التأثير خاصة في شبابه ، عندما كرس حياته لخدمة المسيحية. كانت بداية تعليمه الابتدائي في أسقفية سانت أربو قامت بمدينة ستراسبورغ ثم بثانوية امبريل بمدينة نانسي إلى سنة 1870م حيث توقفت الدراسة بها بسبب الحرب الفرنسية والألمانية ثم بثانوية ناسيونال التي ظل ما إلى أن حصل على شهادة البكالوريا وقد كان أول تقرب له بالكنيسة سنة 1872م بكنيسة نانسي[4] " ، يقوم ديفوكو يتناول القربان المقدس لأول مرة في حياته في كنيسة نانسي، وقبل في نفس اليوم من طرف القس Mrg Foulam في أكتوبر 1874 دخل مدرسة

---

[1] هقاري محمد، دور سكان منطقة آزجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي أمين العقال الحاج موسى الجزائر، ع 24 ، 2016 ، ص 28.

[2] ينظر ملحق

[3] السدتي الشريف، هكذا وصف الرحالة " شارل دوفوكو " ايت اغتاب خلال رحلة استكشاف بالمغرب سنة 1983 ، www.aitattab.com، 2023/04/26 ، 22:10 ، ص 01

[4] يوبي زينب النشاط النصيري في الجزائر منطقة الصحراء أنموذجا 1844 – 1920، لخضر بوزيد ، مذكرة ماستر ، تخصص تاريخ معاصر ، قسم العلوم الانسانية ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة محد خيضر ، بسكرة ، 2014-2015 ، ص66

اليسوعيين الرهبان بباريس والتي يسيرها آنذاك الأب Duloc المشهور تحضيرا الامتحان دخول المدرسة العسكرية سان سير وهكذا بدأ يحضر للحياة العسكرية التي كان يتمناها منذ صغره ، رغم أن حده كان يفضل أن يتكون في المدرسة المتعددة التقنيات مثله ، ولكن دوفوكو فضل سان سير الأن المسابقة فيها أسهل لذلك لم يكن منضبطا ولا محافظا مؤمنا كما يتطلب نظام وقانون المدرسة والدين ، فكان عرضة لعقوبات تأديبية عديدة ،ففي عامه الثاني بنفس المدرسة ونظرا لانحرافه[1] والحلال أخلاقه يطرد من طرف معلميه في مارس 1876م ، المخرط في الحياة العسكرية حيث التحق بسان سير (Saint-Cyr 1878-1875)[2].

حيث أجرى بنانسي امتحان القبول بالمدرسة العسكرية الخاصة سان سير مفجرة الضباط الفرنسيين في 30 أكتوبر 1876 تحصل على مرتبة 82 من بين 412 طالب ناجح ، وفي الثامن عشرة من عمره دخل إلى مدرسة سان سير كانت آنذاك تحت قيادة الجنرال De Brigade Hanion جند في السرية الثانية وتعرف على العديد من زملائه الذين سيكون لهم تأثير كبير في الجيش الفرنسي والسياسة العامة في البلاد بحكم رتبهم ومناصبهم فمن بين أساتذته الملازم الأول دي Dubail أستاذ الجغرافيا الذي أصبح فيما بعد أمين لوسام الشرف ومن بين مؤطريه الرقيب فوريه حيوارد Fourier Gerard الذي قاد الجيش الخامس سنة 1915، وعدد آخر من الذين توصلوا إلى رتب الجنرالات الماريشالات ومنهم "لابرين الذي لازمه في الصحراء عايش دي موكو فترات من الكيت والانطوائية التي تعد من الأسباب التي تعكر الشخصيات مع تأثيره بوفاة جده في 3 فيفري 1878 حيث تغيرت انشغالاته و عرف تماما عن الدروس العسكرية الصالح الأدب والحرفة ولم يعد للحيش والنظام مكان في

[1] مرموري حسن، المرجع السابق ، ص 198

[2] بوشارب عبد السلام، المرجع السابق، ص 110

اهتماماته وهكذا تراجع مستواه وتخرج من المدرسة في مرتبة 333. 386 طالبا ويعين في أكتوبر ملازما.[1]

وفي سنة 1878-1879 التحق بمدرسة سومير للخيالة التي يديرها الجنرال L'hote ويسبب اهماله وسوء تصرفاته تعرض إلى عقوبات متفاوتة وصلت إلى حد السجن لمدة طويلة وهكذا تخرج من المدرسة في المرتبة الأخيرة وبعد تخرجه من هذه المدرسة عين في الفوج الرابع للفرسان في سنة 1880 أرسل إلى الجزائر وغير اسمه إلى فرقة صيادي إفريقيا الرابعة ووصل إلى رتبة الملازم الأول وعمل في أنحاء الجزائر: تلمسان و عنابة و سطيف ...الخ[2]

استمرت حياة دي فوكو بالاضطراب والانحراف، وكانت غير منتظمة وغير مستمرة نقد رفض الانصياع واختار الضياع وهكذا طرد في 20 مارس 1881، وهكذا أنتقل إلى إيفيان وأستمر في حياة الفراغ والشهوات و الإدمان والإلحاد إلى درجة لا يعتقد فيها بوجود الإله وتمادي في الضلال إلى أن جاء خير من الجنوب الوهراني عن التفاضة بوعمامة زعيم أولاد سيد الشيخ ، وان فرقة الصيادين الرابعة التي كان ينتمي إليها دي فوكو قد عينت لقمع الانتفاضة ، وجد فرصة مناسبة للعودة إلى السلك العسكري فذهب إلى باريس ليقدم طلب إعادة إدماجه في الجيش أعلن فيه قبوله لكل الشروط التي ستملى عليه قبل طلبه في 03 جوان 1881 وأرجعت له رتبته فالتحق بفرقته ليبقى معها حوالي 8 أشهر في الجنوب الوهراني ، وكان من ضمن تلك الفرقة كل من لابرين، والمترجم موتسكي والكونت الذين سيشكلون أهم صداقاته فيما بعد به وعند انتهاء انتفاضة أولاد سيد الشيخ عادت الفرقة إلى حياة الثكنات بمعسكر في جانفي

[1] الحاج محمد الحاج إبراهيم، المؤسسة التنصيرية في الجزائر في نهاية القرن 19م (ميزاب والهقار نموذجا)، فاطمة الزهراء قشي مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2011-2012 ص 103

[2] أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي الجزائر عالم المعرفة 2011، ج 6، ص133

1882 تقدم بطلب للحصول على عطلة طويلة لتنفيذ مشروع جدي" ، لكن الطلب رقض وبدون تردد يقدم استقالته ليغادر السلك العسكري للمرة الثانية بفرنسا ثم عاد للجزائر 1883 ليجعلها نقطة بدأ إلى المغرب الأقصى[1].

رحلاته إلى البلاد العربية

2- : الطوارق من خلال كتاباته:

اجتماعيا:

اهتم المستكشفون الفرنسيون كثيرا بهذا الجانب ، وذلك لتحطي الكثير من المشاكل لذا كان يجب على دي فوكو معرفة سكان المنطقة والتقرب منهم لذلك أقام دي فوكو في تمنعست ومارس عدة وظائف للعبادة واستقبال الضيوف وعلاج المرضى وقد ساعدته معرفة اللهجة الخلية للمنطقة في تعاملاته السكان لاسيما شيخهم موسى الذي كان كثير التردد على دي فوكو نقد سعى دي فوكو في المرحلة الأخيرة إلى اختراق الطوارق نساء ورحالا وأطفالا، حيث بدأ يعلمهم أشياء كانوا يعملونها بحكم تواحدهم في منطقة غالية وهو القادم من فرنسا[2]، كالخياطة والنسيج وبناء المنازل والزراعة وغيرها وذلك لكسب ثقتهم وحبهم ليبدأ المرحلة الثانية وهي تنصيرهم وتطويعهم ليتقبلوا الاحتلال الفرنسي . [3]

[1] مرموري حسن المرجع السابق ص 202

[2] عميراوي احميدة وأخرون، المرجع السابق ص 124

[3] حامد لمين ابراهيم، طيبي فاطمة ، الموروث الادي الشفوي عند الإيموهاغ (الطوارق) و الجنوب الجزائري وضرورة تدوينه ، (الادب الامازيغي في الجنوب الجزائري) ، الجزائر : خلدونية للطباعة والنشر والتوزيع ، جزء 1 ، 2018 ، ص 344

لم يكن دي فوكو مقيما دائما في تمنغست ، وكان كثير التنقل والتجول عبر المناطق الصحراوية المختلفة ، وقد صادفت عودته من تحواله عبر تلك المناطق 1907م مجاعة حلت يتمنغست فاستغل الوضع لكسب ود السكان فكان يوزع ما كان عنده من قمح وشعير وغمر على النساء والأطفال وبالفعل أصبح دوفوكو يحظى بحب الناس واحترامهم له لبساطتهم وسلامتهم وقد برز ذلك عندما سقط طريح الفراش فاعتنوا به لعدة أسابيع إلى أن تماثل للشفاء ، فقرر الذهاب إلى إفريقيا الجنوبية ثم عاد إلى فرنسا لزيارة أهله ورجع إلى صحراء الجزائر.[1]

تميزت مرحلة 1909-1910 بوجود الطبيب روبار آرسن Robert Arsen الذي كان تربطه بدي فوكو علاقة طيبة وقد أقام طبيب في الأهقار لعدة شهور حيث كان يراول مهنتين : الأولى كالطيب وهي الأعتناء بالجانب الصحي للجنود وأحيانا للطوارق والثانية هي محاولة كسب الصوارف و تدجينهم تطبيقا لمخطط لابرين وقد أمر الطيب أن يكون تحت إمرة الأب دي فوكو الذي كان الجميع حتى الطوارق أنفسهم لا يقدمون على أمر إلا بالرجوع إليه، مما يدل أثر دي فوكو في احتراق الأهالي الأمر الذي سهل عليه أداء مهامه دون أدنى اعتراض ، وسهل للفرنسيين التوسع في الصحراء دون مقاومة فقد كان السكان يحترمون الفرنسيون بما فيهم العسكريين مراعاة هم ، فكان يعتبرهم بسطاء طيرين كان يشبههم بالأطفال ووصفهم بصفات المزارعين وهي المثابرة الاقتصاد.[2] كما عمد مراسلة الآباء البيض المنصرين الذين تتبع الصحراء مهمتهم، وحرضهم على إرسال الأخوات البيض إلى بلاد الطوارق، لتلتقي المرأة الطارقية التي تبدوا أكثر قابلية لملاقاة الأوروبيات والاحتكاك بمن وخلال ذلك كان يتجه إلى الخيام

[1] عميراوي احميدة وأخرون، المرجع السابق ص 124

[2] أبو عمران الشيخ، شارل دي فوكو في تامنراست 1905-1916، من أجل أمن ثقافي عربي الجزائر، ع 76 وزارة الثقافة، 1983، ص 83

ويذهب إلى الجراحلين ويقف معهم في أعمالهم ويجلس إلى النساء ويقدم لهم هدايا، وكان له قاعدة " من أكتسب قلوب النساء أصبح سيدا" وقع : ذلك وبثبات كان نحو هدفه قائلا عن نفسه :" حياتي متعلقة بنسبة كبيرة مع من يحيط بي وتقديم كل الخدمات اللازمة التي أستطيعها بقدر ما الصدقة تزداد، أتكلم كل يوم أو تقريبا دائما وجها لوجه عن الرب الطيب ، باختصار مبديا لكل واحد ما يمكن حمله هروبا من الذنب ما لحين كل واحد على حسب قدرته[1]."

أما الصديق الثاني، الذي تعلق به فهو الشاب أوكسيم ، وكان أمل فوكو أن يكسب هذا الشاب فنظم له سنقر إلى فرنسا وعرفه على أسرته المسيحية راحيا أن يتأثر بذلك ويتحول إلى إنسان "متمدن" وقد تمت هذه الرحلة سنة 1913 وكان أوكسيم في 21 من عمره فذكر فوكو أن هذه الزيارة دعمت ثقة أوكسيم به ويجميع الفرنسيين وهنا يتضح لنا الغرض من المرحلة وقد تعلم أوكسيم النسيج وعلمه إلى غيره بعد عودته وقد أكد فوكم على أهمية هذا العمل وإن أوكسيم لم يتحول في سلوكه وبقى متمسكة بأسرته ومجتمعه فتفهم فوكو هذا وجعل أوكسيم وصيه أعتبره ابنه الروحي وعندما اندلعت الثورة بالمقار 1917 والتحق بالثوار وذلك بعد شهرين من وفاة دي فوكو[2] عند تسلل بعض الثوار الطوارق إلى برجه يتمنغست أطلق عليه الشاب سرمي آق طره النار فأرده قتيلا في أول ديسمبر 1916. [3]

ثقافيا :

[1] الحاج إبراهيم الحاج محمد المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19م الميزاب الهقار نموذجا)، المرجع السابق، ص 104

[2] أبو عمران الشيخ، المرجع السابق ،ص 48

[3] الحاج ابراهيم حاج محمد ، المرجع السابق ، ص 105

عزم دي فوكو على دراسة لغة وعادات وثقافة المقاريين، حيث جمع مادة غزيرة من اللغة والثقافة الطارقية ، معتمدا على كبار السن والعجائز بالخصوص ، مجمع المفردات والأمثال والأشعار العادات والتقاليد ، وحفظ الكثير عن هذا الشعب المحارب والشادي الجوال ، ونشر هذه 53 مصلحات سنة 1908ثم حضر القاموس ضخم فرنسي لمهاغتي زاخر بالمعلومات التاريخية والأنتوجرافية والجغرافية للبلاد ، ثم أرفقه مجموعة من النصوص وثلاثة ألف قصيدة طارقية مترجمة إلى الفرنسية[1] ، حيث يقول دي فوكو : إن سكان المنطقة كسكان المغرب يتحدثون المجتهم المحلية البربرية أكثر من تحدثهم باللغة العربية ، هذه اللهجة هي اللغة القديمة لشمال إفريقيا لقد تعلمتها سابقا ونسيتها ، إنني بصدد تعلمها لأتمكن من التحدث مع الجميع[2] .

وقد كتب دي فوكو الصديق له في 3 جويلية 1904 يصف له رحلته بين قبائل الصحراء مع صديقه هنري لابرين وما كان يفعله خلالها بقوله : "إننا ننتقل من نبع إلى نبع بين مناطق الرعي التي كثير لا يتردد عليها البدو فنقيم بينهم لعدة أيام . وأيامي مشغولة بدراسة إن لغة هذه المنطقة اللغة العبرية الأصلية وترجمات الإنجيل إلى هذه اللغة وقد ساعده في بحوثه اللغوية وتعلم التماشق الدكتور دو تقيل الذي عاش في الأهقار وخاصة في تمنعت المدة وتعلم هو بدوره التماشق في ستة أشهر[3].

وأجتهد في فوكو تجمع الأبيات الشعرية من الطوارق حيث أدمن على مجالسة "داسين" المرأة الطارقية التي عرفت بقول الشعر الذي كانت تنظمه وتغنيه على إيقاعات الإمزاد، فكان دي فوكو يدفع لكل شخص يمنحه بيتا شعريا أو مثلا 03 فرنك فرنسي فعمل على تدوينه بالتضيناغ ثم ترجمة باللغة الفرنسية حيث جمع 6000 بيت شعري

[1] بوشارب عبد السلام، المرجع السابق، ص 111

[2] عميراوي احميدة وأخرون، المرجع السابق ص 122 – 124

[3] نفسه

، ألف متحدا للمصطلحات الطارقية الفرنسية ، كما قام مجمع 215 مثل ، وأن التبشير هو الأساس في اعتقاد دي فوكو ، والتعمير وسيلة لتحقيقه ، إنه لا يكتفي بتنصير المسلمين واليهود والمسيحيين المنحرفين فحسب بل يريد تنصير القارة الإفريقية كلها وكان هدفه في ذلك هدف لافيجري[1] ولكنه كان يتحرز كثير في طريق التبشير الصريح لأنه كان يدرك صعوبة الأمر في البلاد الإسلامية وقد منعت الحكومة الدعاية المعادية الإسلام ولذا فضل فوكو الطريقة التدريجية البطيئة وغير المباشرة وكان يبدو أنها أنسب للهمج الذين أراد ترويضهم فيقول هذا المعنى :" لتعمل على أن تكون حياتنا قدوة مثلى لهم ... وسوف نصرهم لا محالة بالإضافة إلى هذا السلوك الأمثل يجب الاتصال بالسكان والتحدث إليهم .. وبما أنه يستطيع أن يدعوا إلى المسيحية مباشرة اكتفى بالدعوة إلى الدعاية الطبيعية، من حين الأخر تخلى فوكو عن حزره المعتاد وحاول التبشير صراحة : أبي أقضى أحيانا أياما كاملة مع الطوارق أشرح لهم كتبا فيها بعض الصور الدينية وأتلو عليهم نصوصا من الإنجيل المقدس" وهو يشير هنا[2] إلى بعض الفقراء الذين كانو يترددون عليه ليتصدق عليهم ، وأنتبه فوكو إلى أنه لم يتقدم كثيرا في التبشير ولم يتقبل السكان دعوته إلى المسيحية وفسر ذلك في أنه من الصعب أن يتخلى المرء عن اعتقاده وعاداته وشاهد تمسك الناس بذلك من حوله[3].

حيث نجد أن هناك تنوع مؤلفات دي فوكو بين كتب وقاموس ورسائل وترجمات ومن بينها :

1 Reconnaissance et itinéaire au Maroc صدر سنة 1888م

[1] هاشمي أمال الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الإحتلال الفرنسي في الجزائر ، المرجع السابق 96

[2] ابو عمرانالشيخ ، المرجع السابق ، ص 81-82.

[3] نفسه

2 كتاب نحو لغة التفيناغ.

3 معجم طارقي – فرنسي وفرنسي – طارقي نشر في مجلدين ويبلغ مجموع صفحاته 1450 صفحة

4 رسائل مع أصدقائه وأهله في فرنسا ، حيث يعتبر ما تركه دي فوكو من رسائل خاصة مع من كانت بأيديهم زمام الأمور إحدى المصادر القوية لتأريخ السياسية الاستعمارية في الجنوب الجزائري.

5 نصوص طارقية مترجمة إلى اللغة الفرنسية تشكل مجلدين من الشعر والنشر الطوارقي في حيث ما تركه يعتبر كمرجع للأكادمية البربرية في فرنسا[1].

اقتصاديا:

يرى دي فوكو أنه من الضروري أن يحسن الوضع الاقتصادي للسكان في تمنغست، فأقترح أن يساعد القرية بيستاني خبير وحافر للآبار، كما أنه أقترح أن تتعلم النساء النسيج وأن تفتح بعض المتاجر ، فأتصل برئيس الطوارق وهو موسى أق آمستان وشرح له أنه لابد من تثبيت الرحل الحفاظ على المواشى وكان هذا الاقتراح الأخير يتردد كثيرا في ذلك العهد، ويستهدف هذا المشروع تحويل السكان من وضعية الرجل المتحولين إلى شبه مدنين مستقرين ، فتنى القرى في مناطق مناسبة يعمل فيها الأهالي بالزراعة والصناعة اليدوية ، ويشير أيضا إلى توفير البريد والتلغراف تسهيلا للمواصلات وأهتم فوكو كذلك بالسكة الحديدية[2] التي بدأ الخبراء في دراسة بنائها عبر

[1] يوبي زينب النشاط التنصيري في الجزائر منطقة الصحراء أنموذجا 1844 – 1920، المرجع السابق ص 72

[2] أبو عمران الشيخ، المرجع السابق من 81

الصحراء ، ورأى صلة تحقيق المشروع وتدعيم التبشير وقال أن السكة الحديدية وسيلة عظيمة لنشر الحضارة والحضارة عامل قوي للتنصير[1].

كما ربط دي فوكو علاقات جيدة وتحصل على معلومات حتى من القوافل المنارة والأجانب العابرين للهقار، إلا أن أهم مصدر حسب سجلاته هو باحمو أو بالحمو الذي يشتغل في نفس الوقت سكرتيرا الموسى استفاد منه كثيرا كما يقول في دراسته اللغوية منذ أن كوچه بأسكرام كان بعطيه المئات من الفرنكات شهريا وهي ثروة طائلة انذاك تدل على قيمة الشيء المتحصل عليه وحجمه أيضا ، كان يعمل كل يوم ما عدا الأحد من : الخامسة صباحا إلى الثالثة مساء إلى السابعة، كما تحدث أيضا على أمن الطرقات التي لم يعد الفرنسيون يتحكمون فيها حسب قوله : " كما ترى فالأشياء تغيرت كثيرا منذ ذهابكم لطريق. أولف إلى أدرار أو طريق أهقار أدرار أو هانت عادة مؤمنة ... بالنسبة لأدرار فقد كان عابدين مازح أسراه لم يعد هناك شيء للعيش في أدرار سوف تغزو أهقار محبرين التحول هذا المزاح إلى حقيقة ، فقد كان الغزو الأخير على بعد ثلاثة أيام من سيلت.[2]

وفي الاخير يمكن القول ان لغة الطوارق هي تاماشاك وحروف هذه اللغة تسمى التيفيناغ le tifinigh وهي تحتوي على 22 حرفا ، فالتاريقي يعشق الموسيقى والرقص فهو يرقص اذا فرح ويرقص واذا غضب ويعلج مرضاه بالموسيقى والرقص ولكل مناسبة عند الطوارق رقصاتها، كما عرفوا بالملثمين حيث تميزوا باللثام واتخذوا شعار بين الامم ، وهناك الكثير من الاجانب الذين تحدثوا على قبائل الطوارق وتميزت كتاباتهم بالتغير والاختلاف من بينهم هنري دوفيرييه وشارل دي فوكو

[1] نفسه ، ص 81

[2] مرموري حسن، السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين ص ص 238-242

الخاتمة

الخاتمة

يمكننا في ختام هذه المذكرة المقتضية أن نشير إلى جملة النتائج التي توصلنا إليها على النحو التالي:

-أن المجتمع الطارقي يتأرجح بين الإنعزال والإنفتاح على المؤثرات الحضارية الحديثة، وأنه على الرغم من إكراهات التمدن، فقد تمكن من المحافظة على الكثير من موروثاته وقيمه العريقة، كما أبقى بيئته مجالا بكرا للإستكشافات الإنسان والأثري-.

تعكس العلاقات الاجتماعية ولا سيما الخطوة والمكان التي تحتلها المرأة تجاوز الطوارق بموضوع حرية الجنس اللطيف، وهي المسالة التي لا تزال تثير النقاشات لدى محيطهم القريب.

-، ثراء وتنوع الموروث الثقافي الطارقي بشواهده المادية واللامادية، وهو ما عكسته الإبداعات الفنية والنقوش الصخرية التي جسدت تناغم هذا الإنسان مع وسطه الصحراوي الطارد الذي لم يتمكن من التعايش معه وحسب، بل حوله إلى فضاء يعج باللمسات الجمالية التي حازت إعجاب المهتمين.

- إن التطور السريع وما نتج من تغيرات في الأوضاع الاجتماعية والإقتصادية والسياسية على المجتمع الجزائري بما فيه والمجتمع الأمازيغي الترقي خاصة، فأدى إلى الإنتقال من نمط معيشي بسيط إلى نمط معيشي حضري، أدى إلى تغير في ذهنية أفراد المجتمع الذي كان محددا في الماضي، فأصبح مجاله الإجتماعي أكثر إتساعا على ما كان عليه في الماضي بدخول أفرادها مجال التعليم.

ترجع مكانة المرأة الطارقية إلى زمن بعيد كانت لها سيطرة تفوق سيطرة الرجل ضمن العائلة فلها الحق في اختيار الزوج الذي يناسبها في مقابل ذلك ينتظر منها أن تلد للقبيلة الكثير من الأبناء، ورغم هذا كانت المرأة الطوارقيه عامه في النظام القبلي

الصحراوي في منطقه التاسيلي قديما وحديثا أفضل حالا من اللواتي أتين بعدها في ثقافات وحضارات أخرى، فقد كانت المرأة المتزوجة تملك حق التملك، وهذا الأمر متقدم جدا بالنسبة للحضارات الأولى-.

يحمل التراب الطارقي الكثير من معاني الأصالة والعراقة في منطقة التاسيلي ناجر ، يجب أن يتارشف ويتم حمايته بغرض تمكين الأجيال الحالية من التعرف عليه والاستفادة منه، باعتباره يجسد رمز الهوية الوطنية الجزائرية والذي يعبر عن ماذا تربع الجزائر على فسيفساء ثقافية مختلفة، تختلف من الشمال عن الجنوب.

يتضح من خلال دراستنا أن الطوارق حافظوا على عاداتهم و تقاليدهم و لغتهم و دينهم و كذا نمط حياتهم التقليدية التي تميزت بالشهامة و الفروسية ، مما ساعدهم على مواجهة فرنسا التي تسعى إلى ضم الصحراء الجزائرية بحكم مساحتها الشاسعة و ثرواتها الطبيعية المتعددة لهذاغيرت أسلوبها في محاولة تحقيق مشاريعها فأرسلت البعثات العلمية التي كانت تقدم الإغراءات و المساعدات من أجل إستقطاب عدد أكبر من الطوارق.

كانت هذه البعثات مختلفة فمنهم المغامرين و رجال الدين، فنجد بعثة هنري دفرييه التي كلفه بهدف ربط العلاقات التجارية مع سكان الصحراء لتأمين فرنسا تواجدها هناك فتزايدت بذلك البعثات الإستكشافية كان من بينهم المبشرون ورجال الدين ومنهم شارل دي يفوكو وكان هدف مشترك بينهما وهو التوغل إلى الصحراء وأهم ما قاموا به هو التعرف على السكان وتوجهاتهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ليمهدوا بذلك للظباط الفرنسيين بالقيام ببعثتهم العسكرية معتمدين على معلومات من سبقهم، وقد كان دور هؤلاء هم تقديم معلومات ودراسات حول مختلف صحراء الجزائر.

لقد تناولت كتاباتهم الفرنسية نمطا حياة الطوارق وخاصة الجانب الإجتماعي فيما يخص النظام الإجتماعي والسياسي وتقسيماتها من حيث أصلها وقبائلها وأهم الفئات التي تنتمي إلى مجتمع الطوارق وكذا إهتماماتهم بالمرأة ودورها في المجتمع وتعلم اللغة الطارقية.

إن تنوع الكتابات الفرنسية من مؤرخين ورحالة ينم عن إهتمامهم بالطوارق كمجتمع وجدوه ينفرد ببعض الخصوصيات والتي حاولوا من خلالها ربط علاقات معهم وفصل الطوارق عن بقية مسلمي الجزائر بتشكيكهم في إنتمائهم إلى الإسلام والجزائر عامة وبضمهم إلى صفوفهم.

الملاحق

الملحق 1 :

خريطة توضح مناطق تواجد الطوارق[1]

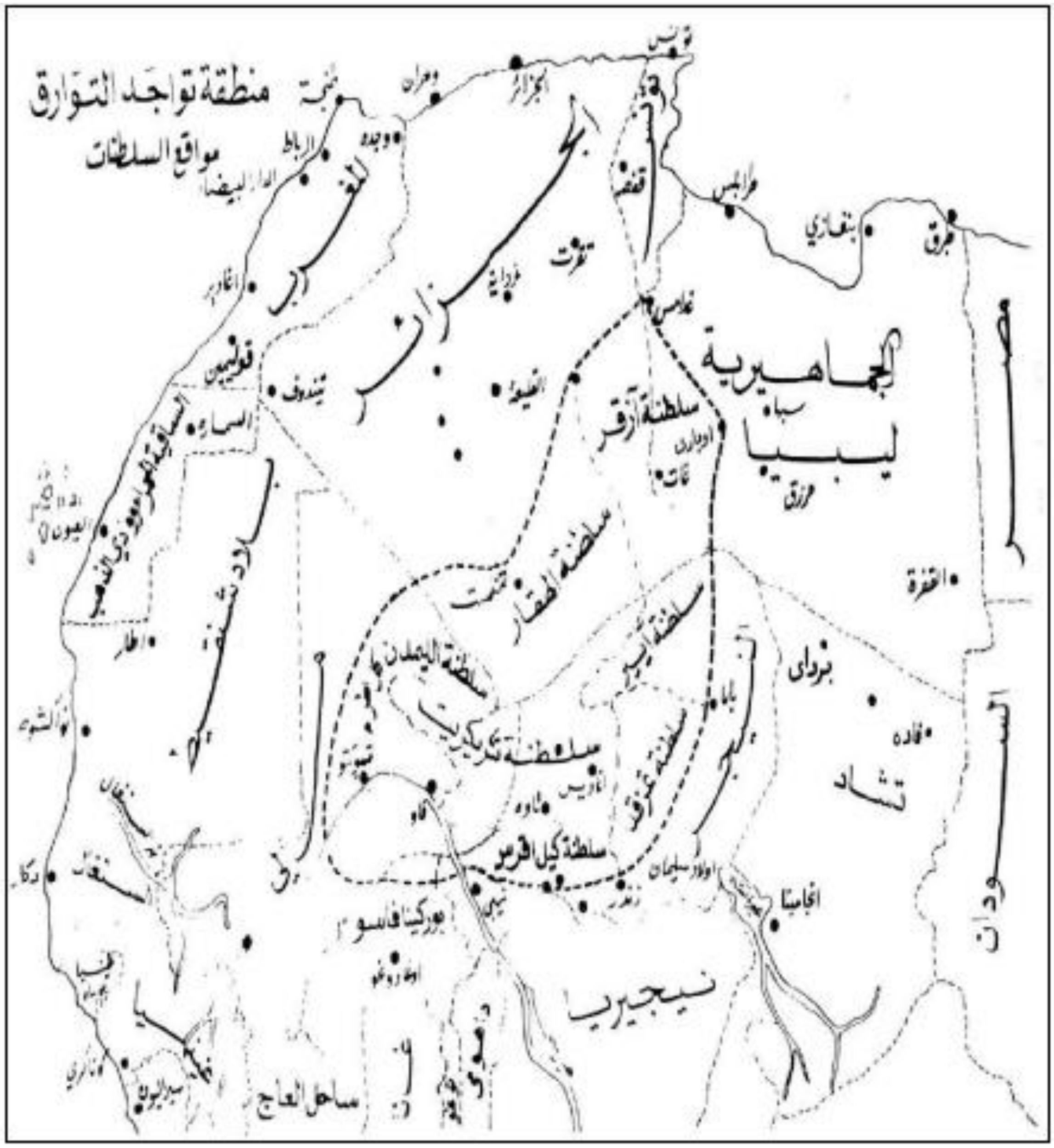

[1] محمد سعيد القشاط : الطوارق عرب الصحراء الكبرى ، مركز الدراسات والابحاث شؤون الصحراء، كاليري ايطاليا 1989، ص 18

الملحق 2 :

يسمى هذا الشاش بتوكيرموست[1]

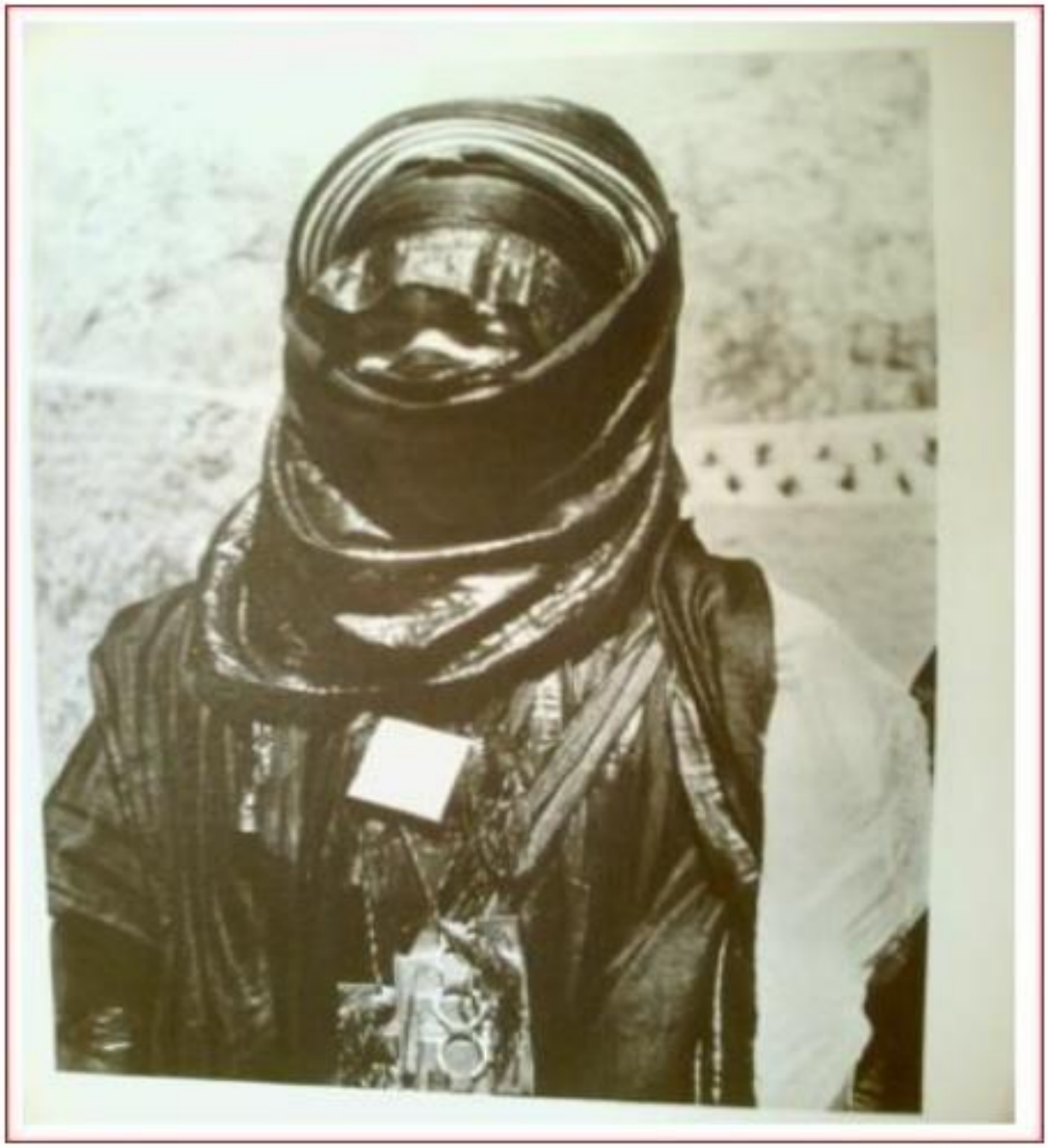

[1] آمال هاشمي : الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ، الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، عبد المجيد بن نعيمة، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، تخصص التاريخ والحضارة الاسلامية ، قسم الحضارة الاسلامية ، جامعة وهران 2007-2008 ، ص 147

الملحق 3 :

الحروف الأبجدية للخط التيفيناغ [1]

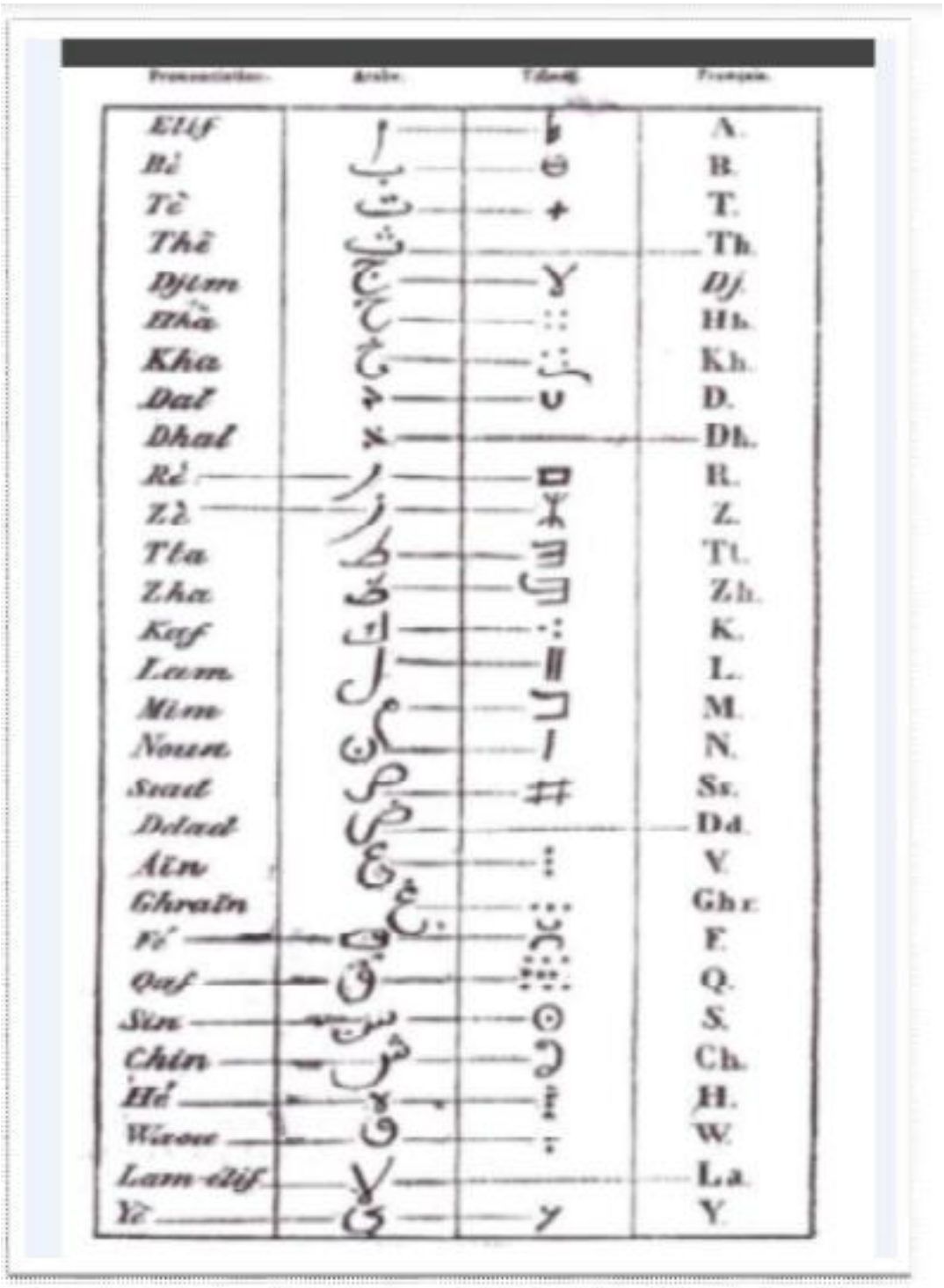

[1] دواس أحسن : صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن 19 من خلال الكتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيوثقافية، رسالة لنيل درجة ماجيستر في الادب المقارن ، شعبة ادب الرحلة ، جامعة منتوري قسنطينة ، كلية الاداب واللغات ، 2007-2008.، ص 79

الملحق 4 :

الأمزاد الة الطرب عند الطوارق[1]

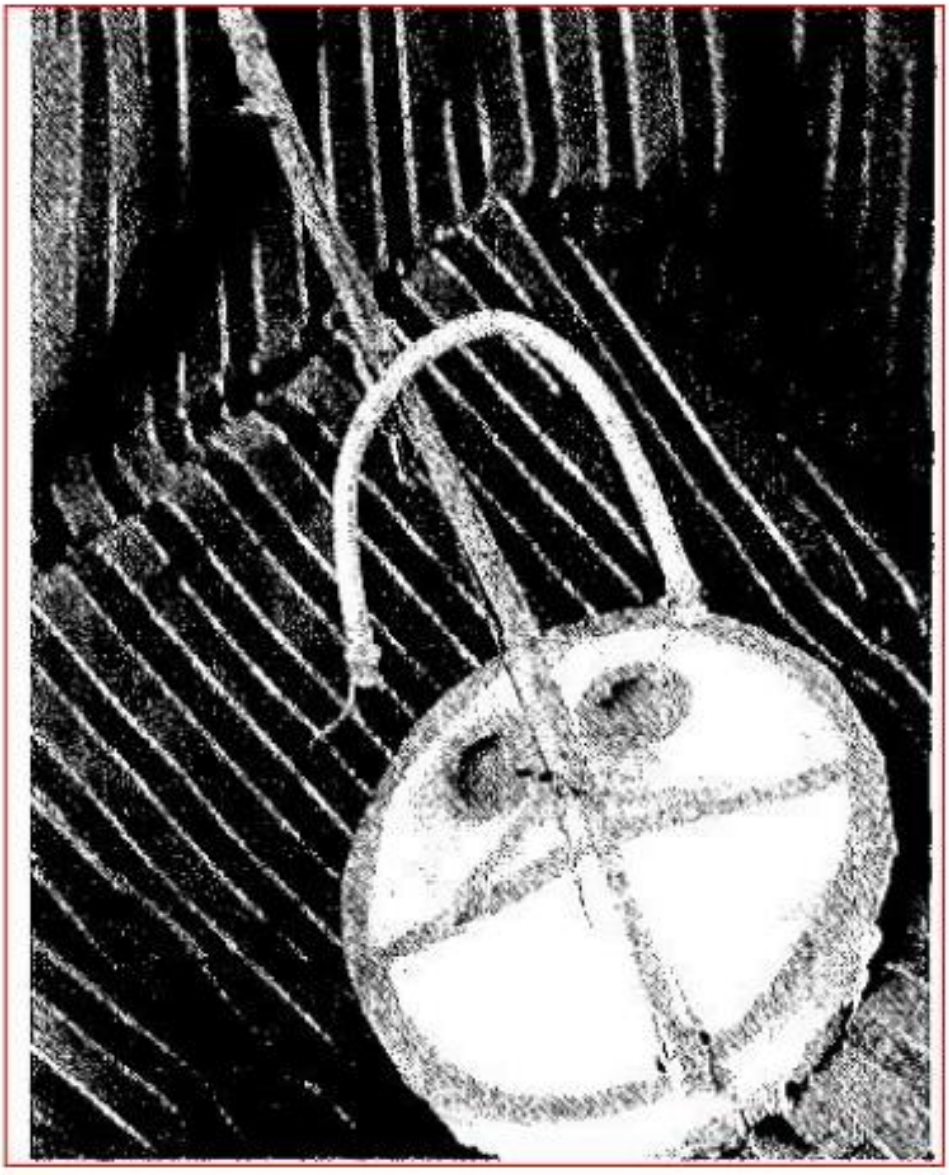

[1] محمد سعيد القشاط : طوار الصحراء الكبرى ، المرجع السابق ، ص 288

الملحق 5 :

تيندي الى الطبل عند الطوارق [1]

[1] بوشارب عبد السلام: الهقار أمجاد وأنجاد، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1985، ص 87

الملحق 6 :

صورة لهنري دوفيرييه[1]

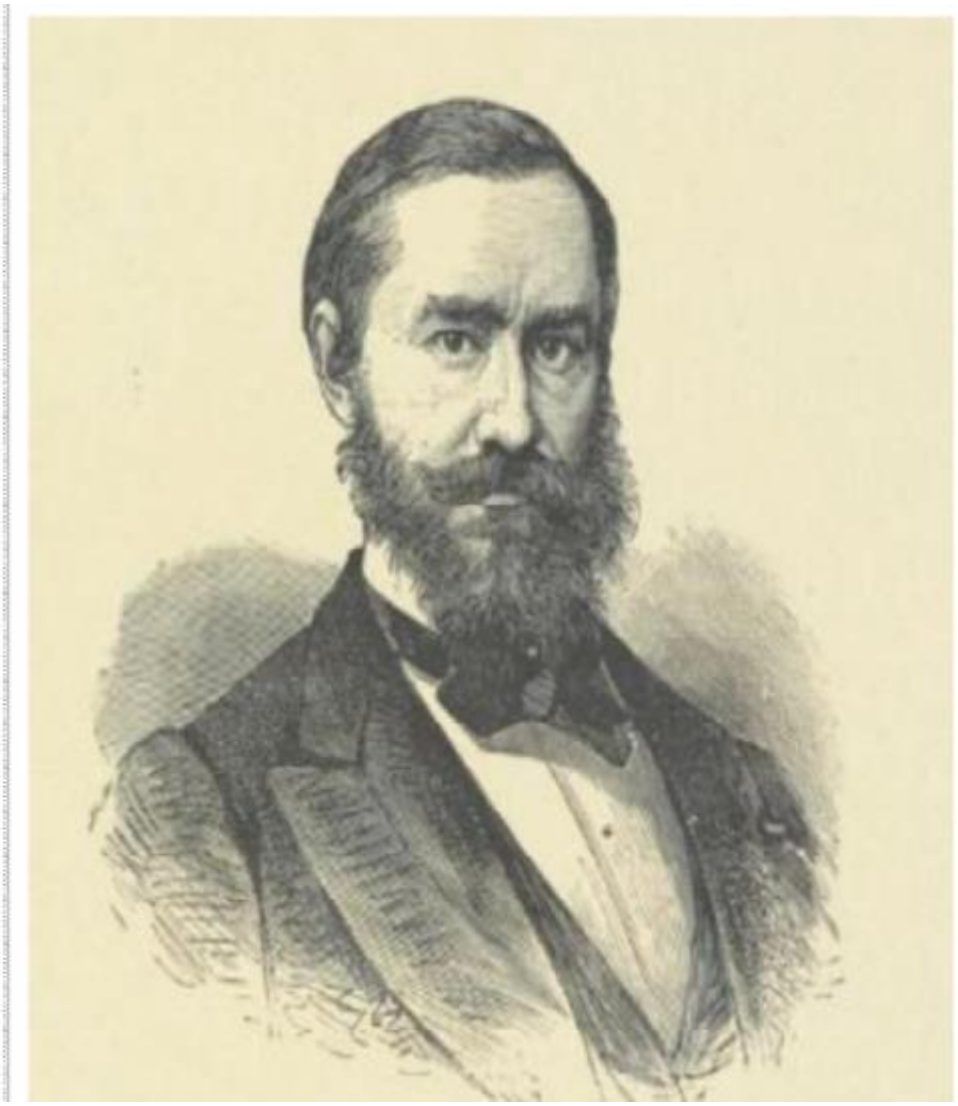

[1] بشيرا قرايفة ، رجاء تواوة البعثات الاستكشافية الفرنسية للصحراء الجزائرية خلال القرن 19 م ، عائوري قمعون ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر ، قسم العلوم الانسانية كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة حمه لخضر الوادي 2016-2017 ، ص 139

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

1 المراكشي ابن عذارى: بيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، بيروت دار الثقافة ، ج4، د.ت

2 البكري أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز محمد: المسالك والممالك ، القاهرة ، دار الكتاب الاسلامي، جزء 2 ، (د.ط).

3 الوزان حسن: وصف افريقيا، ت.ب: محمد حاجي ومحمد اخضر ، بيروت دار الغرب الاسلامي، ج1، ط2 ، 1983

4 عبد الرحمان ابن خلدون: كتاب العبر وديوان مبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت 1971

5 القشاط محمد سعيد: أعلام من الصحراء، بيروت ، دار الملتقى ، 1997 (د.ط)

6 القشاط محمد سعيد : الطوارق عرب الصحراء الكبرى ، مركز الدراسات والابحاث شؤوون الصحراء، كاليري ايطاليا 1989

7 ياقوت الحموي: معجم البلدان: بيروت، دار صادر، 1955 ، ج 4

المراجع:

1 أبو زيد أحمد: البناء الاجتماعي- الأنساق، القاهرة: دارالكاتب العربي للطباعة والنشر،ج1965،2

2 أكناته ولد النقرة: الطوارق من الهوية الى القضية ، المركز الموتارني للدراسات البحوث الاستراتجية ، س 2014 ، م ، بريس ، الرباط.

3 بوشارب عبد السلام: الهقار أمجاد وأنجاد، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1985

4 دالي مبروك الهادي: قبائل الطوارق (الدراسة الوثائقية ، طربلس، د.ن) ، 2007

5 سعيد عثمان : الجائر في التاريخ الجزائر، شركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط2 (د.ت)

6 الشاوي اللا له البكاي أماهين: الطوارق عبر العصور ، ط1 ، دار الكتب الوطنية بن غازي ليبيا 1983

7 طاسيلي ناجر: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية فالمجتمع الطارقي قديما وحديثا، الجزائر: منشورات الجبر. ج4 . ط1. 2009

8 عبد الرزاق عبد الله، تاريخ الحضارة العربية بغرب إفريقيا (د.ط)

9 العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب شارع زيغود يوسف " الجزائر"

10 عميراوي أحمد: قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث ، عين ميلة، دار الهدى، 2005

11 عميراوي حميدة واخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، الجزائر ، دار الهدى ، 2009

12 عوامر محمد الساسي : الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ، ترجمة الجلالي بن ابراهيم ، الجزائر ، منشورات شالة ، ط2 ، 2009.

13 السويدي محمد : بدو الطوارق بين الثبات و التغيير، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1989

14 مرموري حسن: الطوارق بين السلطة التقليدية والادارة الفرنسية في بداية القرن 20. ط1

15مياسي ابراهيم: التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881 – 1912) منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996

16الغربي محمد ، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، الكويت، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، ج1

المراجع باللغة الفرنسية :

1 Duvegrier.Henré : des touarges du nord paris,1864

2 Charles De foucauld, La reconnaissance de Maroc, PP53-55

الرسائل الجامعية:

1 بتقه ابراهيم : مقاومة الطوارق للاستعمار الفرنسي في اقليم النيجر (1890-1920) ، صبار شريف خالد ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في دراسات افريقية (تاريخ وحضارة)، قسم التاريخ ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر 2009 -2010.

2 بن صوشة فوزية: المشاريع الاقتصادية التوسعية الفرنسية في الصحراء الدزائرية في النصف الثاني من القرن 19 مشروع البحر الصحراوي الداخلي 1874 انموذجا خير الدين شترة ، مذكرة الماستر، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم تاريخ، جامعة بوضياف مسيلة 2015-2016

3 بوسكين خديجة: جانت أرض أموهاغ، غوتي شقرون، مذكرة لنيل شهادة الماستر، السمعي البصري وفضاء عمومي، كلية العلوم الاجتماعية، القسم: علوم الاعلام والاتصال، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2017 2018

4 تكرا حنان، حمو علي مباركة: قبائل الطوارق من خلال المستكشفين هنري دوفير وشارل دوفوكو، انموذجا، بعثمان عبد الرحمان، مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر 2020-2021

5 الحاج محمد الحاج إبراهيم: المؤسسة التنصيرية في الجزائر في نهاية القرن 19م (ميزاب والهقار نموذجا)، فاطمة الزهراء قشي مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2011-2012

6 حساين زهيرة، تومي باية: مقاومة قبائل الطوارق للإحتلال الفرنسي في الصحراء الجزائرية خلال المطلع القرن 20 ، بتقه ابراهيم ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، تخصص دراسات افريقية ، قسم العلوم الانسانية ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجيلالي بونعامة ، خميس مليانة.

7 دكار أحمد: حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي (1591-1883) ، محمد حوتية مذكرة لنيل شهادة ماستر ، تخصص التاريخ الافريقي الحديث والعاصر ، قسم للتاريخ ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة ادرار ، 2009-2010.

8 دواس أحسن : صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن 19 من خلال الكتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيوثقافية، رسالة لنيل درجة ماجيستر في الادب المقارن ، شعبة ادب الرحلة ، جامعة منتوري قسنطينة ، كلية الاداب واللغات ، 2007-2008.

9 شارف بثينة : مشروع البحر الداخلي بين الجزائر وتونس خلال الفترة الاستعمارية 1874 م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ ، تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر ، 2019-2020 جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي.

10شهاب سامية: دراسة سوسيو انثروبولوجية، : القرابة عند الطوارق، رسالة لنيل شهادة الماجيستر من قسم الثقافة الشعبية، تحت اشراف مجاود محمد، جامعة ابي بكر بلقايد. جامعة تلمسان – الجزائر السنة 2006-2007

11عباس عبد الله: الدور الحضاري لإقليم توات، وتأثيراتهم في بلاد السودان الغربي من القرنين 15 -16، رسالة ماجيستر في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2000-2001.

12هاشمي أمال: الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر،عبد المجيد بن نعيمة، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، تخصص التاريخ والحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية جامعة وهران، 2007-2008

13يوبي زينب : النشاط النصيري في الجزائر منطقة الصحراء أنموذجا 1844 - 1920، لخضر بوزيد ، مذكرة ماستر ، تخصص تاريخ معاصر ، قسم العلوم الانسانية ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة محد خيضر ، بسكرة ، 2014-2015

الموسوعات:

1 بدوي عبد الرحمان: موسوعة المستشرقين، بيروت: دار العلم للملايين ، ط3، 1993

2 المغربي دينا: قبائل الطوارق، موسوعة المحيط 2023.

المخطوطات:

1 عبد اللطيف عبد الرحمان : الطوارق شعب الصحراء الكبرى، مخطوط مكتبة المؤلف

المجلات والجرائد :

1 بتقة ابراهيم : لمحات من تاريخ قبائل الطوارق، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، قسم العلوم الانسانية ، جامعة خميس مليانة

2 أبو عمران الشيخ: شارل دي فوكو في تامنراست 1905–1916، من أجل أمن ثقافي عربي الجزائر، ع 76 وزارة الثقافة، 1983

3 أبلالي أسماء: إقليم توات (أي أدرار حاليا) في مشروع فصل الصحراء (1960 1969) مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع 1 ، جامعة غرداية 2016

4 عريبي إياد يونس: عفراء عطا عبد الكريم، العادات والتقاليد لدى مجتمع أبناء الطوارق في الصحراء الكبرى. مجلة بحوث الشرق الأسود العدد، 51، سبتمبر 2019

5 برباش رتيبة: مشكلة الطوارق في منطقة الساحل الافريقي وتداعياتها على الامن القومي الجزائري، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، العدد 9 دسمبر 2017.

6 حامد لمين ابراهيم: طيبي فاطمة ، الموروث الادي الشفوي عند الإيموهاغ (الطوارق) و الجنوب الجزائري وضرورة تدوينه ، (الادب الامازيغي في الجنوب الجزائري) ، الجزائر : خلدونية للطباعة والنشر والتوزيع ، جزء 1 ، 2018

7 خليفي عبد القادر، مجتمع طوارق الجزائر : الخصوصيات الانثروبولوجية والسوسيوثقافية، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة العدد 13 – ديسمبر 2017

8 كديدة محمد مبارك: مجالات اهتمام الكتاب الغربيين بمناطق اقصى الجنوب الجزائري، (هنري دوفيرييه انموذجا)، مجلة آفاق علمية، ع 11 ، الجزائر، منشورات المركز، 2016

9 مرغيت محمد : سياسة التنصير ودورها في المخطط الاستعماري الفرنسي ، مجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف مسيلة ، عدد 4، 2017

10مزارة زهيرة ، ميلود عامرحاج: أزمة الطوارق في منطقة الساحل الأفريقي، مجلة آفاق للعلوم، العدد العاشر، جانفي 2018

11 الأنصاري مصطفى : الأحرار الملثمون، الطوار بين الارهاب والثورة والحب، جريدة الجريدة ، 30 نوفمبر 2011.

12معمري أحلام: الطوارق مجلة فنون الجسرة – العدد 01 ربيع 2021

13 هقاري محمد، دور سكان منطقة آزجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي أمين العقال الحاج موسى الجزائر، ع 24 ، 2016

المقالات :

1 إسراء أنجيلة، تعبير عن صحراء الجزائر وجمالها الخلاب، 23 نوفمبر 2021 : ، اللغة العربية في الجامعات ، تدقيق أحمد بن عمر تحديث 20:39

2 رفاف شهرزاد : الاستكشافات الاوربية للصحراء الجزائرية من القرن تاسع عشر جامعة بشار، تاريخ الارسال 10-02-2019 تاريخ القبول 03-03-2019 تاريخ النشر 30-04-2019 مجلد الاول عدد خاص افريل 2019.

3 قومار قويدر اولاد مسعود : قبائل شعانبة اسود صحراء الجزائر ، http://www.youtube.com/watch?v=o5TTYI9DmY

4 المنتديات:

1 فارس بني رحمان، قبائل واعراش الصحراء الجزائرية الكبرى، منتديات الشروق ، 2023/05/12 س 01:01

المواقع الكترونية:

1 السدتي الشريف، هكذا وصف الرحالة " شارل دوفوكو " ايت اغتاب خلال رحلة استكشاف بالمغرب سنة 1983 ، www.aitattab.com،

2 العاجيب ليلى. 11,55 heure ,06/02/2023: date، من هم الطوارق ,http://mawdou3.com

الفهرس

الفهرس

شكر وتقدير 3
الإهداء 4
الإهداء 5
قائمة المختصرات 6
مقدمة: ..... أ
الفصل التمهيدي : الصحراء الجزائرية عبر العصور وأهم القبائل الكبرى فيها ..... أ
الفصل الأول: قبائل الطوارق عبر التاريخ ..... أ
المبحث الأول : الإطار الجغرافي لقبائل الطوارق: 18
المبحث الثاني : الأصل والنسب لقبائل الطوارق: 22
المبحث الثالث : النظام السياسي والإجتماعي في المجتمع الترقي: 30
الفصل الثاني: الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية لقبائل الطوارق 36
المبحث الأول: طبقات مجتمع الطوارق 37
المبحث الثاني : المرأة ومكانتها في المجتمع الطارقي 51
المبحث الثالث الأوضاع الاقتصادية عند الطوارق 46
الفصل الثالث : الأوضاع الثقافية والحضارية عند الطوارق 55
المبحث الأول: اللغة والفنون عند الطوارق 56
المبحث الثاني: العادات والتقاليد لدى مجتمع الطوارق 65

المبحث الثالث: قبائل الطوارق من خلال الكتابات الأجنبية 69
الخاتمة 87
الملاحق 100
قائمة المصادر والمراجع :..... 97
ملخص :.....109

ملخص :

الطوارق هم موطنهم الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا منذ القديم ويسكنون حاليا جنوب الجزائر وجنوب غرب ليبيا وشمال مالي وشمال النيجر وشمال بوركينافاسو ، أختلف المؤرخون في أصل تسمية الطوارق بهذا الاسم فمنهم من قال أن سبب التسمية انتسابهم إلى طارق ابن زياد ومنهم من يقول نسبة إلى الطرق التي يتخذونها هؤلاء الطوارق في أسفارهم ومنهم من يقول أنه أطلق عليهم التوارك سبب تركهم الديانة الوثنية واعتناقهم للإسلام يسمون أنفسهم كل تماجق تطلق على طوارق في النيجر وكل تماهق تطلق على الطوارق في ليبيا والجزائر وكل تماشق تطلق على الطوارق في مالي و لغتهم وحروفها تسمى التيفيناغ وعرفوا بالملثمين تميزوا باللثام واتخذوه شعارا بين الأمم وعرف هذا المجتمع مجمل الأعراف والعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية التي تشكل جزء من هوية المجتمع الطارقي وباعتباره المرأة . العنصر الأساسي والفعال الذي جعل الروابط الأسرية تتماسك نظرا لتمتعها بالاحترام والتقدير وتربية الأطفال وتعليمهم القراءة وكتابة التيفيناغ

أما بالنسبة للجانب الاقتصادي فيشغل الطوارق بتربية المواشي من إبل وماعز وبقر ويتخذ الطوارق من ألبان الإبل والبقر طعامهم الرئيسي وكذلك من لحومها.

وهناك الكثير من الاجانب تحدثت علي القبائل الطوارق وتميزت كتاباتهم بالتغير والاختلاف ومن بينهم كتابات شارل دي فوكو وهنري دوفيرييه عن الطوارق مركزة على الجانب الاجتماعي (عادات تقاليد (وكتاباتهم حول المرأة والفئات الاجتماعية عكس الجانب الثقافي الذي بقي شحيحا وقليلا في كتاباتهم وكانت هدفهم دائما خدمة الإدارة الفرنسية وتمهيد الطريق أمام الاستعمار وفصل الطوارق عن بقية مسلمي الجزائر وتنصيرهم وضمهم إلى صفوفهم.

الكلمات المفتاحية : الطوارق الصحراء الكبرى ، هنيري دوفيريه ، شارديفوكو.

Abstract

The Tuareg are their homeland of the Sahara and North Africa since ancient times and currently reside in southern Algeria, southwestern Libya, northern Mali, northern Niger and northern Burkina Faso. Historians differed on the origin of the name of the Tuareg by this name. Some of them said that the reason for naming is their affiliation to Tariq Ibn Ziyad, and some of them say relative to the ways they take These Touaregs are on their travels, and some of them say that they have been called the Tuareg, the reason they left the Pagan religion and their conversion to Islam, they call themselves all Tamagik Fred on the Touareg in Niger and all the eagerness applied to the Touaregs in Libya and Algeria, and all the Tamashqat applied to the Touareg in Mali and their language and letters are called Tifinagh and they are known as masked They adopted It as a slogan among nations, and this community knew the totality of customs, customs, traditions and social values that are part of the identity of the Tariq community and as the woman is the primary and effective element that made family ties hold together due to their respect and appreciation and raising children and teaching them to read and write Tifinagh

As for the economic aspect, the Tuaregs are engaged in raising livestock from camels, goats and cows, and the Tuareg take their main food as well as meat from their camels.

There are many foreigners who spoke on the Tuareg tribes, and their writings were marked by change and difference, among them the writings of Charles de Foucault and Henri Duvieres focused on the Touaregs focused on the social aspect (habits. Traditions) and their writings on women and social groups unlike the cultural side that remained scarce and little in their writings and their goal was always to serve the administration French and pave the way for colonialism and the separation of the Tuareg from the rest of the Muslims of Algeria and their Christianization and inclusion in their ranks.

.**Key words**: Tuaregs, Sahara Desert, Shardefuku, Henri Dufiere